بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد ٦٠

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

ربيع الأول ١٤٣٦هـ

يناير ٢٠١٥م

العدد السابع - المجلد الستون

January 2015

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ - ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg,

Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

E-mail: albaas1955@gmail.com, nadwa@sancharnet.in Mob:9889336348

website: www.nadwatululam.org

محتويات العدد

العدد السابع- المجلد الستون - ربيع الأول ١٤٣٦هـ- يناير ٢٠١٥م

الافتتاحية :

تحية إلى رسول الرحمة والسلام ﷺ ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

الدعوة الإسلامية :

العبادة والدعاء في القرآن الكريم — سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٨

شرح قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية — الدكتور غريب جمعة — ١٤

الدين النصيحة — الشيخ الطاهر بدوي — ٢٦

الفقه الإسلامي :

الأكل من الطيبات — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٣١

من أعلام التاريخ الإسلامي :

إسهامات العلامة شبلي النعماني في إصلاح المناهج التعليمية في الهند — د . محمود حافظ عبد الرب مرزا — ٤٣

دراسات و أبحاث :

الأسلوب البلاغي والنحوي لـ : تيسير الكريم الرحمن — الشيخ محمد إسحاق الندوي — ٥٢

الاحتكاك بين العرب والغرب : الأسباب والنتائج — الباحث شاهنواز أحمد — ٦٤

منهج الإمام ابن كثير في تفسيره — الأخ محمد عابد كريم الندوي — ٧٤

تعليق على تاريخ مسلمي الهند بعد الاستقلال :

ظاهرة المسلمين بعد استقلال الهند في عام ١٩٤٧م — الدكتور محمد سلمان خان الندوي — ٨٤

من كنوز القرآن :

تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي — محمد فرمان الندوي — ٩٢

أخبار علمية وثقافية :

ندوة علمية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في غجرات (فرع غجرات) — قلم التحرير — ٩٧

برامج دراسة الفقه الإسلامي في ضوء المناهج الاستنباطية للأئمة الأربعة في جامعة ندوة العلماء — " " " — ٩٧

إلى رحمة الله تعالى :

١. الشيخ عبد القادر الشيبي إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٩

٢. فضيلة الشيخ إسماعيل أحمد عبد الله المنويري في ذمة الله تعالى — " " " — ٩٩

٣. الأستاذ وليد عبد الرحمن الرويح في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

تحية إلى رسول الرحمة والسلام صلى الله عليه وسلم

هناك في العالم البشري حقائق كثيرة لا ينفك عن التفكير فيها أصحاب العلم والعقل ، ممن يعرفون أن الإنسان يعيش بين حقيقتين واضحتين ، لا يكاد ينكرهما أي كائن من هذه الكائنات ، هما حقيقة البدء والانتهاء ، فلكل شيئ مهما كان ، بداية ثم نهاية ، وتبدأ حياة الإنسان بالولادة وتنتهي بالموت ، فذاك واقع لا يختلف فيه أحد ولا ينكره ، إلا أن حقيقة الحقائق كلها وجود هذا الكون الذي خلقه الله سبحانه وعمره بالكائنات ، ومن أبرزها وأكبرها السماوات والأرض : (لَخَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) (غافر : ٥٧) ثم الخلق الذي يتميز بالروح والحياة ومن بين ذلك الجن وبنو آدم الذين كرمهم تكريماً وفضلهم على كثير ممن خلقهم تفضيلا .

ومع عمارة العالم بالناس وتكاثر وسائل العيش واتساع حاجات الكون والحياة والحضارة والمدنية بعث الله سبحانه إلى العالم البشري المصطفين من عباده لكي يبينوا منهج الحياة في الأرض ويعلموا الناس الآداب والفضائل التي تربيهم على الشكر على نعم الله تعالى ، ومعرفة صاحب النعمة الذي ألبسهم لباس العز والكرم ، وجعلهم ذوي الحس والشعور بعلو مكانتهم والإيمان بالخالق العظيم والارتباط به كما يرتبط العبد بسيده ويخضع له دائماً ويخدمه ، ولا يفارقه في أي حال ، كذلك كان خلق الجن والإنس لأداء حق العبادة للرب تبارك وتعالى : (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ . مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ . إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ) (الذاريات : ٥٦- ٥٨) .

وقد عاش الناس في فترات مختلفة من التاريخ ، إما بالخضوع أمام إرادة الله تعالى أو انحرفت بهم الطرق فضلوا الطريق وتأثروا بما أوحى إليهم إبليس من مباهج الدنيا ومزلات النفس وجاهلية العقل والتفكير ، فتوزعت

المجتمعات البشرية بين المهتدين والضالين ، حتى إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ظهرت هذه الرحمة مع كل نوع من أفراد المجتمع ، مع من آمن به واتبعه ومن لم يؤمن به ولم يتبعه ، ولو لا هذه الرحمة التي أرسلها مع نبيه صلى الله عليه وسلم لم يهتد من كان ضالاً ، ولم يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من كان يبغضهما أشد البغض، ومن كان يتآمر على النبي صلى الله عليه وسلم ويتحين الفرص لقتله لم يلبث أن نصره وعضده فيما بعد ، ثم كانت هذه الرحمة المهداة عامة ودائمة ولائقة بجميع الكائنات وقد ظهر أثرها في الشجر والحجر والجمادات الأخرى وفي الدواب والطيور والأنعام وجميع ما في العالم البشري، وهي رحمة حية متحركة ذات نشاط وتأثير ، وبمجرد تأثيرها أصبح الدين كاملاً شاملاً خالداً مع اختلاف الزمان والمكان والشعوب والقبائل والأمم والأقوام .

وقد جاء فيما رواه ابن كثير في تفسيره (حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : إنما أنا رحمة مهداة . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله بعثني رحمة مهداة ، بُعثت لرفع قوم وخفض آخرين) .

ومن ثم عمت هذه الرحمة المهداة إلى جميع أنحاء العالم البشري ، ولكل من في هذه الكائنات نصيب من رحمة الله سبحانه الذي وصف نفسه بالرحمن الرحيم بوجه عام ، وهو الذي عظم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فجعله رحمة للعالمين ، ولا يعني ذلك إلا أن رسالة الدين التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، صورة كاملة لجميع أنواع الرحمة فما لبث أن قال : الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، فكان أبو بكر رضي الله عنه رفيقه في الغار أرحم هذه الأمة وأولاها تمثيلاً للرحمة في كل جزء من حياته حتى وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأرحم أمته وأكثرهم رأفة ، ذاك أن طبيعة هذا الدين إنما هي الرحمة ليس غير ، ولذلك فإن علماء هذه الأمة قاموا بتفسير معنى الرحمة على أوسع نطاق وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، وذلك إن دل فإنما يدل على أن طبيعة الرحمة دعت إلى شمولها في طبائع الخلق بأجمعه ، وإن مخالفتها تمهد الطريق نحو القسوة والظلم والرذائل التي تأباها طبيعة الإسلام .

ومن أوسع أبواب هذه الرحمة تدخل الفضائل ومكارم الأخلاق والطاعات وكل ما يأتي تحت الخلق الجميل من ممارسات عملية لصالح الأعمال والتراحم الاجتماعي ودوافع الخير الفردية والجماعية ، لا في العالم البشري فحسب ، بل في جميع العوالم والكائنات ، سواء من ذوي العقول أو غيرهم ، ولذلك لم تلقب هذه الأمة بالخير ثم القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا من خلال معاني الرحمة التي تشملها من غير استثناء، وكذلك الدعوة إلى الله تعالى والتوجيه إلى سبيله ذات اتصال عميق بعنصر الرحمة ، وليس ما يأمر به الإسلام من الالتزام بالحكمة والموعظة الحسنة في سبيل دعوة الناس إلى دين الله تعالى إلا رحمة بالوضع السيئ الذي يعيشون فيه وإنقاذهم منه إلى ساحة أوسع للحياة الإنسانية التي تتفق وطبيعة البشر .

جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فأعلن ما أمره الله به من قتال الناس حتى يدخلوا في الإسلام ، ويشهدوا بالإيمان مع الله ورسوله وبالخضوع أمام جميع أوامره ونواهيه ، وبذلك يستحقون رحمة الله تعالى ويمثلونها في جميع أعمالهم ونشاطاتهم ، فقد جاء في الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله (متفق عليه) فهل يعني ذلك إلا أن الشهادة بالإسلام رحمة كبيرة تتولى عصمة الناس من أي آفة تسلب أرواحهم وأموالهم ، وقد جاء في حديث آخر (والذي نفسي بيده لأقتلنهم ولأصلبنهم ولأهدينهم وهم كارهون ، إني رحمة بعثني الله تعالى ولا يتوفاني حتى يظهر الله دينه) قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما بلغه أن أبا سفيان بن الحارث يحث الأوس والخزرج ضده ، بعد مخرجه إلى المدينة المنورة مهاجراً ، وهو يقول لهما : ((..... أو تخرجوا محمداً من بين ظهرانيكم ، فيكون وحيداً مطروداً)) (تفسير ابن كثير)

وما جاء في كتاب الله تعالى (وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ . قُلْ إِنَّمَآ يُوحَى إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ) ففيه إشارة إلى أن

رسالة النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين جميعاً وهي تمهد الطريق نحو توحيد الله سبحانه وإلى أن الاله ليس إلا واحدا فقط ، فهل أنتم مسلمون ، استفهام لتقرير الواقع ، وهي رحمة بمشيئة الله تعالى للذين صدرت منهم بعض المعاصي ولم يوفقوا إلى التوبة والاستغفار ، وللذين حق عليهم العذاب ولكن انتماءهم إلى رحمة للعالمين وقاهم من سوء المصير ، وذلك هو السبب فيما إذا كان كتاب الله تعالى زاخراً بكلمة " رحمة " ومشتقاتها أكثر من أي كلمة أخرى ، فمن سورة الفاتحة إلى سورة البلد ، في الجزء / ٣٠ ، تشغل الرحمة ومشتقاتها حيزاً كبيراً من القرآن الكريم، الأمر الذي يشير بل يؤكد أن هذا الدين رحمة كله ، وهي تشمل البر والبحر وكل الكائنات فضلاً عن الجن والإنس والعالمين جميعاً .

تفاقد العالم البشري اليوم عنصر الحب والحنان ووحدة الأخوة نتيجة إغفاله اتباع رسول الرحمة والإكباب على الزخارف المادية التي شغلت البشر اليوم عن تربية الروح وتزكية القلب ، ولا سيما أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنها تناست اليوم مكانتها الرفيعة بين الشعوب والأمم ، والميزة العظيمة التي منحها الإسلام وجعلها خير أمة أخرجت للناس وأكرمها بالقيادة العالمية على مدى الدهر ، و وعدها الله سبحانه وتعالى بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين الذي ارتضى لها وتبديل الخوف أمناً في جميع أنحاء العالم ، واشترط لهذه النعمة الالتزام بعبادة الله تعالى ، والفرار من الاشراك به ، فقال تعالى : (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ، يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ) (النور : ٥٥)

أفليس الاستخلاف في الأرض من نتائج الرحمة المهداة التي أرسل الله تعالى رسوله رحمة للعالمين من أجلها ، وبها أكرم عباده المؤمنين العاملين الصالحات؟؟ بلى ! إن الانتصارات التي فاز بها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها إنما كانت صورة صادقة لتلك البشرى التي بشر بها الله سبحانه أمة الإسلام فقال : " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " ، ولا ريب أن رسالة الإسلام في الرحمة التي تعم العالمين ، إنما حصرها الله تعالى باستعمال أسلوبه المعجز البليغ ونقض النفي بـ " إلا " .

إنها حضارة الرحمة وحضارة الحرمة ، وحضارة الإنسانية التي تتلمس أوتار القلوب وتربط بعضها ببعض فإذا بها تتفجر نوراً وبهاءً ، وحباً وألفة وجمالاً ، وتصنع من الناس مجتمعاً بشرياً صالحاً يمثل الأخوة الخالصة ذات الرحمة والحنان ، والنصح والإيثار ، فينطبق عليه قول رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) فالمسلم يتودد إلى أخيه من خلال تلك الرحمة التي أسدى بها رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم إلى هذه الأمة التي صنعت ولا تزال تصنع تاريخ الإنسان ، مشرقاً وضيئاً ، وبعيداً من كل ما يعارض معاني الرحمة العالمية التي كانت رسالة الإسلام ودعوته ، منذ بعثة النبي عليه الصلاة والسلام إلى يوم الدين ، وهي رسالة السلم والسلام والإنسانية، وهي دعوة الحب والأخوة والإيمان ، (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) .

وجاء فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المشركين فقال : إني لم أُبعث لعاناً وإنما بُعثت رحمةً) (باب البر والصلة والأدب) .

فها هو ذا رسول الرحمة ، والخلق العظيم ، وما أحوج العالم اليوم إلى اتباعه والسير في دروب الرحمة والحنان، والقيادة العالمية ، في معالجة القضايا والمشكلات التي تثار اليوم بدون هوادة ، وتبذل جهود على المستويات العالمية لتشويه صورة الإسلام وهدم تاريخه المشرق الوضيئ ، ولا يخفى ما يجري اليوم ضد الإسلام والدعوة إليه من مؤامرات شرسة ومكايد سرية بواسطة من الجماعات والتنظيمات المرتزقة التي لا علاقة لها بالإسلام (والله لا يهدي القوم الفاسقين)

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٦/١/٢٧هـ

٢٠١٤/١١/٢١م

العبادة والدعاء في القرآن الكريم

بقلم: سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب: محمد فرمان الندوي

ذكر القرآن الكريم في مواضع مختلفة وبمناسبات متنوعة أن هذه الكائنات وما فيها من المخلوقات والموجودات خلقها الله رب العالمين ، وهو وحده مالكهم وخالقهم ، ومستحق للعبادة ، لا شريك له، وكل ما يحدث في هذا العالم ثابت ومقرر من عند الله خالق الكون ، ويجري تحت علمه وقدرته، ليس هنا شيئ صغيراً كان أو كبيراً يقع فجاءة ، وقد أخبر القرآن الكريم بأن الله لم يخلق الكائنات عبثاً ، بل وضع وراءها غاية، وأمر الإنسان بأن يدركها ، ويعوِّد نفسه على العمل بها ، فقد فوضت إليه مسؤلية خاصة من المخلوقات الأخرى بأن يعيش حياته في هذه الأرض ابتغاء مرضاة الله تعالى ، ويكون أميناً فيها كخليفة الله تعالى ، فلإنجاز هذا العمل يحتاج الإنسان إلى العلم، وقد توافرت وسائله .

كانت الحاجة إلى نوعين من المعلومات في هذا الأمر ، أحدهما: ما يحتاج إليه في حياته، يمكن أن ينال الإنسان من تدبره وتجربته ، وانحصرت هذه المعلومات على سعي الإنسان وجهده ، ومُنح الإنسان موهبة حصولها وفهمها ودرايتها ،وثانيها ما يفوق نطاق موهبته ، وعبر ذلك بالغيب ، فلا يحيطه العلم الإنساني ، أخبر الله تعالى الإنسان بواسطة الرسالة السماوية والتعليم الإلهي ، وهو يتعلق بعالم الغيب ، واطلع عليه الناس بالملائكة والرسل من الله تعالى ، فقد ذكر فيه غاية خلق الإنسان ومعرفة عظمة الخالق، وطريق الشكر له ، وذكر فيه أن الإنسان يكرم بجنات ونعيم على امتثال أوامر الله تعالى وإطاعته ، ويعاقب عقاباً شديداً على عصيانه الله عز وجل بعد أن أكرمه الله تعالى بآلاء جسيمة ونعم كثيرة .

هذه النعم والعقوبات لا تكون في حياة مختصرة للإنسان (الدنيا) ، بل يكرم الإنسان أو يعاقب في الآخرة حسب أعماله الدنيوية، وقد أمر الإنسان بالإيمان والعمل بها ، قال الله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ❖ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (سورة الملك الآيتان/١ – ٢) .

فيجب على الإنسان أن تكون حياته مظهراً للاعتراف بآلاء ربه وعظمته ، وبما أن الكون تحت أمره ، والله تعالى مصدره ومآله ، فعلى الإنسان أن يلتمس منه حاجته ، وهذا الالتماس يعرف بالدعاء ، ذكرت في القرآن الكريم نماذج من الدعاء ، وذكرت أيضاً طرق الاستفادة منها ، فأول مثال لها سورة الفاتحة ، التي هي أول سورة في القرآن ، وهي وجيزة للغاية ، لكنها جامعة ، ذكر في مفتتحها عظمة الله ومكانته العالية وصفاته العظيمة ، ثم سُئل منه الخير والصلاح ، وكل ذلك في سبع آيات بأسلوب جامع : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ❖ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ❖ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ❖ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ❖ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ (سورة الفاتحة الآيات/ ١ – ٧) .

وقد ذكرت في القرآن الكريم بطريقة واضحة قصص مؤثرة للأنبياء والرسل ومناهج دعوتهم الذين أرسلهم الله عز وجل لهداية الناس وإرشادهم ، وكان آدم عليه السلام أول إنسان وأول نبي ، ورد ذكره في مواضع مختلفة ، لبيان العظمة التى أكرم بها الإنسان ، وقد نسي آدم عليه السلام أمر الله تعالى ، فاستغفره ، ذكر الله تعالى في القرآن نسيانه واستغفاره في هذه الآيات :

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ❖ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ❖ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ❖ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا

الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ❖ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ❖ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ❖ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (سورة الأعراف الآيات/١٩ – ٢٥) .

وخلفه في ذريته نوح عليه السلام ، وكان نبياً ، بلغ رسالة ربه إلى الناس بأمانة وصدق ، لكنه شفع مرة لابنه المجرم العاصي أن يغفره الله عزوجل ، فرد الله تعالى عليه بأنه ليس من أهله، فاعترف نوح عليه السلام بخطئه ، فاستغفره ، ورد ذكر هذا من الجانبين في القرآن الكريم.

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ❖ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ❖ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة هود الآيات/٤٥ – ٤٧) .

كان إبراهيم أحب الأنبياء إلى الله عزوجل ، وفضّله الله تعالى على الأنبياء ، فكل ما ألهمه الله من كلمات وأعمال قدم فيها نماذج طاعة الله تعالى والاستسلام له وتوجد فيها أدعيته التى تتجلى منها أحوال إنسانية متنوعة ، قال الله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ❖ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ❖ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ❖ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ ❖ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ❖ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ❖ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (سورة إبراهيم الآيات/٣٥ – ٤١)

كان سيدنا موسى عليه السلام من المصطفين الأخيار، صدر منه أيضا خطأ بشري، وهو أنه قتل في الغضب رجلا سيئاً (ولا شك في سوء نفسه)، فطلب المغفرة من الله ودعاه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ❖ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (سورة القصص الآيتان/١٦ – ١٧).

ثم اضطر إلى أن يغادر وطنه، وكان عاجزاً ومستكيناً، وقد أبدى حالته هذه في مناجاته مع الله تعالى، ورد في القرآن الكريم مثاله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (سورة القصص الآية/٢٤)، ولما أمره الله تعالى بأن يذهب إلى فرعون، دعا موسى عليه السلام الله عزوجل، وهذا الدعاء ذكر في القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ❖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ❖ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ❖ يَفْقَهُوا قَوْلِي ❖ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ❖ هَارُونَ أَخِي ❖ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ❖ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ❖ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ❖ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ❖ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ (سورة طه الآيات/٢٥ – ٣٥). وكان يونس عليه السلام من الأنبياء، حزن شديداً من تحقق وعدالله بشيئ من التأخير، حتى هجر وطنه، وذهب إلى مكان آخر، قال الله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الانبياء الآية/٨٧) ثم استغفر الله ودعاه، ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ ❖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنبياء الآيتان/ ٨٧ – ٨٨)

وكان من أجلِّ أنبيائه تعالى سيدنا سليمان عليه السلام، وقد أكرم مع نبوته بحكومة مترامية الأطراف على الأرض، فذكرت

عدة أدعية مأثورة عنه ، دعاها نظراً إلى أحواله الخاصة : ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (سورة ص الآية/٣٥)

وقال الله تعالى : ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة الأنبياء الآية/٨٦) وقال : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ❖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ (سورة الأنبياء الآيتان/٨٣ – ٨٤) وقال : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ❖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ (سورة الأنبياء الآيتان/٨٩ – ٩٠) .

هذه الأدعية وغيرها للأنبياء والأفراد ذكرت في القرآن الكريم فجاء فيها التأكيد على أن سائر الأمور تأتي من عند الله تعالى ، وإذا مست الحاجة إلى شيئ فاسألوه والتمسوها منه ، لكن التزموا بآداب السؤال منه ، ولاحظوا شأن ربوبيته ، وعجزكم واستكانتكم ، وانظروا أن لا يصدر منكم عمل في نسيان منكم، يكون بعيداً من ربوبيته وعبوديته ، وقد وعد الله تعالى في القرآن الكريم قائلا : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ وقال أيضا : ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (سورة الأعراف الآية/١٨٠) .

نذكر هنا عدة أدعية من القرآن الكريم على سبيل المثال ، يستفيد منها المؤمنون إلى يوم القيامة :

١. ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٨٦)

٢. ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٥- ١٦) .

٣. ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ

أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (سورة آل عمران الآية/٨) .

وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا أدعية مؤثرة تشبه أدعية القرآن ، وتماثل أسلوب الوحي ، وهي مرآة للأدعية الموجودة في القرآن ، وتحمل قوة وتأثيراً ، وهي مثال للمؤمنين على اختلاف مستوياتهم وتعدد أزمانهم ، فكل رجل يسأل خالقه حسب حاجته، وظروفه ، وقد وعد الله بقبول الدعاء حينما يسأله العبد .

وهنا نموذجان من أدعيته ، أحدهما دعاه في الطائف ، في حالة مكلومة ، وكبد مقروحة ، وفي عجز واستكانة ، فقد راعى فيه ربوبية الله تعالى وعجز الإنسان وعبوديته مراعاة تامة لا يرتاب أحد في صدقه وإخلاصه :

اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، أنت ربي ، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وثانيهما دعاه في منى في الحج ، حيث أبدى عبوديته ومسكنته، واختار أسلوباً مؤثراً وجامعاً لعبوديته وسؤاله ، لا يكون أحسن وأشمل منه :

"اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني ، وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيئ من أمري ، أنا البائس الفقير ، المستغيث المستجير ، الوجل المشفق ، المقر المعترف بذنوبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، دعاء من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عيناه (عبرته) وذل لك جسده ، ورغم لك أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك شقيا، وكن بي رؤوفاً رحيماً يا خير المسؤلين وياخير المعطين.[1]

[1]- المعجم الكبير ج/١١ ص١٧٤

شرح قصيدة

الكواكب الدرية في مدح خير البرية المعروفة "بالبردة" للإمام الأكبر الشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر

(الحلقة الثالثة عشرة)

بقلم: الأستاذ الدكتور/غريب جمعة
جدة_ المملكة العربية السعودية

آيات حق من الرحمن محدثة
قديمة صفة الموصوف بالقدم (٩٢)

(٩٢) قوله "آيات حق" إلخ، أي من معجزاته صلى الله عليه وسلم آيات حق إلخ، فآيات مبتدأ خبره مقدر قبله هو الجار والمجرور، وإضافة آيات لحق من إضافة الموصوف للصفة، أي آيات موصوفة بأنها حق وجميع ما يأتي إلى قوله في البيت الثاني عشر[1] "وكالميزان معدلة" صفات للآيات وما يقع بين الصفات من متعلقاتها، ومقصود المصنف بالذات مدح النبي صلى الله عليه وسلم، لكن لما ذكر أن من معجزاته صلى الله عليه وسلم الآيات الحق التي هي القرآن استطرد بذكر صفاتها، وقوله "من الرحمن" أي من عند الرحمن لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم كما زعمه كفار قريش، وقوله محدثة أي أحدثها الله تعالى كما في التنزيل قال تعالى ((ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا استمعوه وهم يلعبون)) الأنبياء/٢، وفي بعض النسخ "محكمة" بدل محدثة وقد جاء بها التنزيل أيضاً قال تعالى ((كتاب أحكمت آياته)) وقوله قديمة استشكل بأنه ينافي قوله محدثة على النسخة الأولى، لأن الشيئ لا يكون محدثا وقديما معا، وإلا أدى إلى اجتماع النقيضين، وهو محال، وأجيب بأنها محدثة باعتبار الألفاظ، قديمة باعتبار المعاني فهي محدثة قديمة باعتبارين لا باعتبار واحد، حتى يؤدي إلى اجتماع النقيضين، وهذا الجواب مبني على أن الألفاظ التي نقرؤها تدل على الكلام القديم الذي هو صفة قائمة بذاته تعالى كما

[1] أي الأبيات من ٩١ إلى ١٠٥.

قال السنوسي وغيره من المتقدمين، لكن ناقش في ذلك العلامة ابن القاسم واختار أنها تدل على معنى ما وللمعنى التي تدل عليه الصفة القديمة، مثلا "أقيموا الصلاة" يدل على طلب إقامة الصلاة، وبحيث لو كشف عنها الحجاب لفهمنا من الكلام القديم مثل هذا المعنى، ويمكن أن يكون المراد أن هذه الألفاظ تدل على الصفة القديمة بطريق اللزوم العرفي لا العقلي لأنه يلزم عرفا من أن يكون له تعالى كلام لفظي، بمعنى أنه خلقه في اللوح المحفوظ، أن يكون له كلام نفسي فإن كل من أسند له كلام لفظي لزم عرفا أن يسند له كلام نفسي إذ هو يدل عليه كما قال الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما

جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وبهذا كله ظهر قوله "صفة الموصوف بالقدم" فليس المقصود أن الألفاظ التي نقرؤها صفة للموصوف بالقدم الذي هو الله تعالى، لأنها حادثة بل المراد أن معناها صفة له تعالى، وهو مبني على ما مر، وإلا فمعنى الألفاظ التي نقرؤها منه ما هو قديم كمدلول قوله تعالى ((الله لا إله إلا هو الحي القيوم)) البقرة/٢٥٥، ومنه ما هو حادث كمدلول قوله تعالى ((إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين)) القصص/ ٢٨، فبعضه قديم وبعضه حادث وبالجملة ففي هذه المسائل نزاع طويل، والحاصل أن الألفاظ التي نقرؤها لها دلالتان: دلالة بالوضع، وهي التي اعتبرها العلامة ابن قاسم فإن المدلول بهذه الدلالة مساو للمدلول الذي تدل عليه الصفة القديمة، ودلالة بالالتزام العرفي لا العقلي، وهي التي اعتبرها السنوسي وغيره من المتقدمين، فإن المدلول بهذه الدلالة هو الصفة القديمة، فكل من المسلكين صحيح كما في حواشي الكبرى.

لم تقترن بزمان وهي تخبرنا

عن المعاد وعن عاد وعن إرم (٩٣)

(٩٣) قوله "لم تقترن" إلخ، أي لأنها قديمة من حيث معناها على ما فيه، فمدلولاتها قديمة على ما علمت والزمان حادث، والقديم لا يقترن بالحادث، لأنه لو اقترن به لكان حادثا، وقوله "وهي" أي هذه الآيات، وقوله "تخبرنا عن المعاد" أي عن عود الخلق بعد انعدامهم فالمعاد بمعنى عود الخلق إلى الله تعالى في الدار الآخرة بعد انعدامهم في الدنيا، وذلك كقوله تعالى

((وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده" الروم/١١، وقوله تعالى ((كما بدأنا أول خلق نعيده)) الأنبياء/١٠٤، وقوله عن عاد أي تخبرنا عن قبيلة عاد التي بعث إليه هود عليه الصلاة والسلام، وذلك كقوله تعالى حكاية عنهم: قالوا ((يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك)) هود/٥٢، وسميت هذه القبيلة باسم أبيها عاد بن عوض بن ارم بن سام بن نوح، وكان عمره ألف سنة ومائتي سنة ورأى من صلبه أربعة آلاف ولد وتزوج ألف امرأة، وكان كافرا يعبد القمر، ثم إنه يقال للأولين منهم عاد الأولى ولمن بعدهم عاد الأخرى، ويقال لهم أيضا: إرم تسمية باسم جدهم إرم، وقيل إن إرم اسم أرضهم وبلدتهم التي كانوا فيها، وقيل: إنها مدينة بناها شداد بن عاد لبنة من فضة وأخرى من ذهب في صحن عدن كما سمع بذكر الجنة وما فيها وجعل فيها قصورا من الذهب والفضة وأساطينها أي أعمدتها من الزبرجد والياقوت وجعل فيها أنهارا مطردة وأصنافا من الشجر، وأتم بناءها في ثلاثمائة سنة وعند كمالها ارتحل إليها بأهل مملكته، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليها صيحة من السماء، فأهلكتهم، وقد أطنب المؤرخون في صفتها وهذا خلاصة خبرها.

وقوله "وعن إرم" بكسر الهمزة وفتح الراء المهملة أي وتخبرنا عن إرم وذلك كقوله تعالى ((ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد)) الفجر/٦،٧،٨، وقد عرفت أن إرم تسمى عادا الأخرى، وإرم في الآية عطف بيان على عاد إيذاناً بأنهم غير عاد الأولى، لكن قضية سياق الآية أن المراد بإرم البلد وهو أحد الأقوال السابقة، وإنما كرر المصنف "عن" في الثلاثة لأنها أنواع مختلفة فلا يحسن جمعها في واحد، ولأن لكل أخباراً تخصه، وقيل كررها للوزن، وحسنه أن مقام المدح يحسن فيه الإطناب.

دامت لدينا ففاقت كل معجزة

من النبيين إذ جاءت ولم تدم (٩٤)

(٩٤) قوله " دامت " إلخ أي استمرت عندنا فتسبب عن ذلك أنها فاقت كل معجزة صادرة من النبيين غير نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقوله " إذ جاءت ولم تدم " تعليل لقوله " ففاقت كل معجزة من النبيين " أي إذ

جاءت عنهم ولم تستمر ، بل لم تظهر على أيديهم إلا مرة واحدة ، وذلك حين التحدي ، ثم لم تظهر بعد ذلك ، وإليه أشار صلى الله عليه وسلم بقوله " ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً يتلى ، (راجع في هذا وأمثاله كتاب " الشفاء " للقاضي عياض ، يرحمه الله تعالى) .

وهو باق على الدوام ، وسبب ذلك أنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، فشريعته باقية إلى يوم الدين فناسب أن تكون معجزته كذلك ، والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي وهو دعوة النبوة أو الرسالة ، وهي مأخوذة من الإعجاز ، لأنها تعجز الخصوم عن أن يأتوا بمثلها وقد نظم بعضهم أقسام الخارج للعادة فقال :

إذا ما رأيت الأمر يخرق عادة ... فمعجزة إن من نبي لنا صدر
إن بان منه قبل وصف نبوة ... فالإرهاص سمه تتبع القوم في الأثر
إن جاء يوما من ولي فإنه ... الكرامة في التحقيق عند ذوي النظر
وإن كان من بعض العوام صدوره ... كنوه حقاً بالمعونة واشتهر
ومن فاسق إن كان وفق مراده ... يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
وإلا فيدعى بالإهانة عندهم ... قد تمت الأقسام عند الذي اختبر

وزاد بعضهم السحر ، وقيل : إنه غير خارق ، لأنه معتاد عند تعاطي أسبابه .

محكمات فما تبقين من شبه
لذي شقاق وما تبغين من حكم (٩٥)

(٩٥) قوله " محكمات " إلخ أي والآيات المذكورة محكمات إلخ ، ومعنى محكمات : متقنات النظم في البلاغة والفصاحة ، بحيث لا يقدر البشر على الإتيان بمثلها ، فدل ذلك على أنها من عند الله تعالى قال سبحانه ((وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله)) (البقرة/٢٣) . وكلهم قد عجزوا عن معارضته ((قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله)) (الإسراء/٨٨) وقد كان كثير من الكفار يسلم لما يدرك من فصاحة ألفاظه ، أو أن معنى محكمات : ذوات حكمة ويصح فيها فتح الكاف ، لأن الله أحكمها أتى بها ذات حكمة ، وكسرها لأنها دالة على الحكمة ، قال تعالى ((يس والقرآن الحكيم)) (أول يس) قال الزمخشري : أي ذي الحكمة ، لأنه ناطق بها ، وقد كان كثير من

الكفار يسلم بمجرد سماع ما يتضمن المعاني الكثيرة من بعض آيات القرآن في ألفاظ قليلة ، كما كان كثير منهم يسلم لما يدرك من فصاحة ألفاظه ، لأنه مثل ذلك لا يمكن أن يكون من كلام البشر ، وقوله " فما تبقين من شبه لذي شقاق " بضم التاء من تبقين ، لأنه من أبقى ، أي فما تترك تلك الآيات المحكمات شبهاً لصاحب شقاق ، وهو الكافر ، لأنه شاق الدين إذ هو في شق ، والإسلام في شق بل تزيلها ، فـ " من " زائدة في المفعول ، والشبه جمع شبهة ، وهي ما يظن دليلاً وليس بدليل وإن شئت قلت : كلام مزخرف الظاهر فاسد الباطن ، والشقاق : المخالفة للحق ، والحاصل أن الكافر إذا ادعى أمراً مخالفاً للحق وأقام عليها شبهاً كان القرآن هادماً لها أي لتلك الشبه ومزيلاً لها لما تضمنته آياته من الحكم والفوائد ، وإنما قال " من شبه " بصيغة الجمع ، ولم يقل من شبهة بصيغة المفرد ، وإن كان المقرر أن عموم المفرد أشمل ، فإنه إذا انتفى الواحد انتفى الجنس جمعه ومفرده بخلاف نفي الجمع ، فإنه لا يستلزم نفي الواحد ، تنبيهاً على أن طرق الباطل شتى ، فكأنه يقول : إن هذه الآيات لا تبقين شيئاً من أنواع الشبه الكثيرة المختلفة الأنواع ، فما من أحد تعرض له شبهة إلا ويجد شفاء منها في القرآن ، فإنه الشفاء من كل داء ، والنجاة عند تفرق الأدواء وقوله " وما تبغين من حكم " بفتح التاء من تبغين أي ولا تطلبن حكماً ، بفتحتين يعني حاكماً يحكم على ذلك المخالف للحق بأنه على خلاف الصواب لظهور براهينها عليه ، فـ " من " زائدة في المفعول كالتي قبلها فهي زائدة في الموضعين كما أن " ما " نافية في الموضعين .

ما حوربت قط إلا عاد من حرب

أعدى الأعادي إليها ملقي السلم (٩٦)

(٩٦) قوله " ما حوربت " إلخ أي ما حورب الآتي بها ، وهو النبي صلى الله عليه وسلم في الزمن الماضي إلا كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الغالب ورجع أشد الأعادي عداوة إليه ملقى السلاح وسلم له صلى الله عليه وسلم ، إما بدخوله في الإسلام ، وإما بتركه المحاربة من أجل شدة بلاغتها ، فإسناد المحاربة إليها مجاز ، لأن المحارب الآتي بها لاه ، ويحتمل أن المراد بالمحاربة المعارضة ، فيكون المعنى : ما عورضت في الزمن الماضي بأن أراد أحد أن يأتي بمثلها بحسب ظنه إلا عجز وعاد إليها أشد الأعادي

عداوة مستسلماً منقاداً من أجل شدة بلاغتها ، فقد شبه المعارضة بالمحاربة بجامع عدم الانقياد في كل ، واستعار المحاربة للمعارضة واشتق منها " حوربت " بمعنى عورضت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية " وقط " ظرف بمعنى الزمن الماضي ، و " عاد " من أخوات كان ، فترفع الاسم وتنصب الخبر ، ف " أعدى الأعادي " اسمها ، و " ملقى السلم " خبرها ، و "إليها " متعلق بعاد ، وكذا قوله " من حرب " و " من " فيه للتعليل ، فهي بمعنى من أجل ، وذكر بعضهم أنها للابتداء ، وحقيقة الحرب بفتحتين : سلب المال ، لكن المراد به هنا هو الشدة أي شدة بلاغتها مجازاً من باب إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم ، لأنه يلزم من سلب المال بشدة ، ويحتمل أن المراد به سلب الحجة التي هي كالمال لأن الشخص يخاف على حجته أن ترحض وتضمحل فيفتضح ، كما يخاف على ماله ، ومعنى " أعدى الأعادي " أشد الأعادي عداوة ، والأعادي جمع أعداء ، وهو جمع عدو ، فالأعادي جمع الجمع ، ومعنى السلم بفتحتين : السلاح أو الاستسلام والانقياد ، وفي التنزيل ((وألقوا إليكم السلم)) (النساء/٦٠) أي الاستسلام والانقياد .

ردّت بلاغتها دعوى معارضها

ردّ الغيور يد الجانى على الحرم (٩٧)

(٩٧) قوله " ردّت بلاغتها " إلخ أي أبطلت بلاغتها دعوى معارضها الإتيان بمثلها إبطالاً مبالغا فيه ، فإذا ادعى المعارض الإتيان بمثلها في ظنه أبطلت بلاغتها دعواه ، كما وقع لمسيلمة الكذاب ، حيث عارض القرآن لما ادعى النبوة وأراد أن يأتي بقرآن (من وجهة نظره) يشبه القرآن : فقال في معارضة سورة النازعات :

(والطاحنات ، والعاجنات ،والخابزات خبزاً) فافتضح لا بارك الله فيه ،والبلاغة هي المطابقة لمقتضى الحال ، مع الفصاحة التي هي الخلو من الحشو والتعقيد والغرابة ، وقوله " رد الغيور " أي رداً مثل رد الشخص الغيور الذي هو شديد الغيرة على النساء ، والإضافة في ذلك من إضافة المصدر لفاعله ، وقوله " يد الجاني " مفعول للمصدر الذي هو الرد ، وقوله " على الحرم " متعلق بالمصدر المذكور ، والحرم بضم الحاء المهملة وفتح الراء ، جمع حرمة ، فكونه غيوراً يقتضي أن يرد ويدفع يد الجاني عنهن ، وإن لم

يكن من محارمه بمقتضى طبعه ، فكيف يرده يد الجاني عن حرمه هو كامرأته وأخته وغيرهما ، فرده عنهما أشد من رده عن غيرهما ، وظاهر كلام المصنف أن إعجاز القرآن للبشر عن الإتيان بمثله بسبب ما اشتمل عليه من البلاغة التي لم يصلوا إليها ، وعلى ذلك فالقرآن ليس من جنس مقدورهم ، وهو قول الجمهور ، والقول الثاني أنه من جنس مقدورهم ، لكن الله تعالى صرفهم عن الإتيان بمثله ، ولذلك يسمى بقول الصرفة [٢]

---

[٢] يقول كاتب هذه السطور : لا بد من وقفة مع القول " بالصرفة " الذي تولى كبره النظام المعتزلي . لنعرف ماذا قال وبماذا رد العلماء عليه ! لأن الأمر هو جد خطير لأنه يتعلق بكتاب الله وما أدراك ما كتاب الله ؟

قال النظام : " إن الله تعالى ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة ، بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام ، والعرب إنما لم يعارضوه لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك " ! . وهذا هو المذهب المعروف بمذهب الصرفة وهو مذهب باطل لوجوه :

أولها : لو لم يكن معجزاً لما فيه من ألوان البلاغة وفنون البيان لكان إذ أنزل في درجة البلاغة وانحط في مرتبة الفصاحة أبلغ في الأعجوبة إذا صرفوا عن الإتيان بمثله ، ولما عنى أن يكون على هذا النظام العجيب وأن يظفر من الفصاحة بأوفى نصيب .

ثانيها : أنهم لو كانوا قد صرفوا عن معارضته لم يكن من قبلهم من العرب مصروفاً عنه لأنهم لم يتحدّوا به ، فكان من الجائز أن نعثر في كلام العرب الأقدمين على ما يشبه القرآن ، وذلك لم نجده في تاريخ أدبهم .

ثالثها : إنه لو كانت المعارضة ممكنة ، ولكنهم منعوا عنها بالصرفة لم يكن الكلام معجزاً ، وإنما يكون المنع هو المعجز ، والمنع من الله فيكون الله تعالى هو المعجز ولا إعجاز في القرآن ، وعليه لا يتضمن الكلام في نفسه فضيلة على غيره فيصبح في مكنة العظماء والبلغاء بعد زوال زمن التحدي أن يأتوا بمثله ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، فقد أتى جهابذة الكلام بعده بما في وسعهم أن يأتوا ، واهتدى العلماء إلى أسباب الجمال في القول ، ولكن لم يستطع أحد أن يدنو من هذا المكان البعيد أو يقارب هذا الأفق المتسامي ، وكلما اهتدوا إلى سر من أسرار الفصاحة ازدادوا إيماناً بالضعف والعجز أمام كتاب الله . (إعجاز القرآن للباقلاني ، ص ٣٤ وما بعدها)

رابعها : أنه لو عجز العرب عن المعارضة بالصرفة لما استعظموا بلاغة القرآن ، وتعجبوا من حسن فصاحته كما أثر عن الوليد بن المغيرة حيث قال " إن أعلاه لمورق وإن أسفله لمغدق وإن له لطلاوة وإن عليه لحلاوة " بل كان الجدير بهم أن يتعجبوا من تعذر ذلك عليهم بعد أن كانوا عليه قادرين ، ولم يكن لتعجبهم لفصاحته وجه ، فظهر من كل ما تقدم فساد هذا المذهب . (من بلاغة القرآن ، د/أحمد بدوي . نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة . ط ٣ – ٢٠٠٤م . ص ٤٨ وما بعدها.)

وهو أدخل في الإعجاز ، لأن عجزهم عما هو من جنس مقدورهم ، لكن يلزم أن إعجاز القرآن ليس بنفسه بل بالصرفة ، فيكون غير معجز بنفسه!! فالحق هو القول الأول .

لها معان كموج البحر في مدد
وفوق جوهره في الحسن والقيم (٩٨)

(٩٨) قوله " لها معان " إلخ أي لتلك الآيات معان كثيرة لا نهاية لها بل يمد بعضها بعضاً كما أشار إليه بقوله " كموج البحر في مدد " أي مثل موج البحر في كونه يمد بعضه بعضاً ، إذ ما موجة إلا وبعدها موجة وهكذا ، وأشار بذلك إلى قول بعضهم : أقل ما قيل في العلوم التي في القرآن من ظواهر المعاني المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف علم ، وثمانمائة علم ، وما حكي عن بعضهم من أنه قال : لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر ، وقول علي كرم الله وجهه " لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير الفاتحة " قال بعض العارفين : ويظهر وجه ما قاله رضي الله عنه من خمسة كنوز :

الأول : معنى " الحمد لله رب العالمين " فيحتاج فيه إلى بيان معنى الحمد وما يتعلق به ، ومعنى لفظ الجلالة وما يليق به من التنزيه ومعنى الرب على جميع أنواعه وأعداده .

الثاني : معنى " الرحمن الرحيم " فيحتاج إلى بيان معنى هذين الاسمين وما يليق بهما من الجلالة ، وحكمة اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين فيحتاج في مثل ذلك إلى بيان جميع الأسماء .

الثالث : معنى " مالك يوم الدين " فيحتاج إلى بيان هذا اليوم وما فيه من المواطن والأحوال .

الرابع : معنى " إياك نعبد وإياك نستعين " فيحتاج إلى بيان المعبود وجلاله والعبادة وكيفيتها وصفاتها وأدائها على اختلاف أنواعها والعابد وصفته ، والاستعانة وكيفيتها .

الخامس : معنى " اهدنا الصراط المستقيم " إلى آخر السورة فيحتاج إلى بيان الهداية وأنواعها والصراط المستقيم وعقباته وصراط المنعم عليهم والمغضوب عليهم ، والضالين وصفاتهم وما يتعلق بهذا النوع .

وقوله " وفوق جوهره في الحسن والقيم " عطف على قوله كموج البحر في مدد ، أي ولها معان فوق الجوهر المستخرج من البحر في حسنها البديع ،

وفي قدرها وشرفها " وفوق " ملازم للنصب على الظرفية وإن كانت مجازية ، ونحوه في التنزيل قال تعالى : " وفوق كل ذي علم عليم " (يوسف/٧٦) ، والضمير في "جوهره" للبحر ، والمراد بجوهره الدر المستخرج منه ، والحسن ضد القبح ، والقيم : بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة ، والمراد بها هنا ما لها من القدر والشرف مجازاً ، لأنها في الأصل ما قطع به المقومون ، وبذلك اندفع ما قد يقال : إن معانيها قديمة على ما تقدم ، والقديم لا يوصف بأن له قيمة ، ووجه الاندفاع أن المراد بالقيمة القدر والشرف لا المعنى الأصلي ، وفي هذا البيت الجمع ثم التفريق ، وهو أن يدخل شيئين في معنى واحد ثم يفرق بينهما ، فقد أدخل هنا معاني القرآن والبحر في المدد والكثرة ، ثم فرق بينهما بأن حسنها وقدرها يزيدان على حسن جوهره وقيمه .

فلا تعدّ ولا تحصى عجائبها

ولا تسام على الإكثار بالسأم (٩٩)

(٩٩) قوله " فلا تعدّ ولا تحصى " إلخ هذا البيت مفرع على البيت قبله ، فالشطر الأول مفرع على الشطر الأول ، والثاني على الثاني وقوله " عجائبها " أي معانيها العجيبة ، والعجائب جمع عجيبة ، وهي الشيئ العديم النظير أو قليله ، وقوله " ولا تسام " بضم التاء وفتح السين المهملة بعدها ألف لينة وفي آخره ميم أي لا توصف ، وقوله " على الإكثار " أي مع الإكثار منها الذي لا غاية له ، فعلى بمعنى " مع " وقوله " بالسأم " بتشديد السين المهملة وفتح الهمزة أي الملل ، والجار والمجرور متعلق بـ تسأم ، وحاصل المعنى : أنه إذا كان لها معان كموج البحر في الكثرة التي لا غاية لها وفوق جوهر في الحسن والقدر والشرف ترتب على ذلك أنها لا تعد ولا تحصى معانيها العجيبة ، لعدم تناهيها ، ولا توصف بالملل مع الإكثار منها لحسنها ، فغيرها من الكلام ، ولو بلغ الغاية فيما يليق به من الحسن والبلاغة يوصف بالملل مع الإكثار منه ، فيمل مع **الترديد** ، **ويعادي** إذا أعيد خلاف آيات القرآن كما ورد في الحديث فقارئها **لا يملها** ، **وسامعها لا**

---

[٣] وقد ذكر القاضي عياض – رحمه الله – في " الشفاء " جزءاً من الحديث فقال: ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه ، هو الفصل ليس بالهزل ، لا يشبع منه العلماء

يمجها بل الإكباب على تلاوتها يزيدها حلاوة ويوجب لها محبة وطلاوة .

قرّت بها عين قاريها فقلت له

لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم (١٠٠)

(١٠٠) قوله " قرّت بها " إلخ أي سكنت واطمأنت بتلك الآيات عن قاريها بإبدال الهمزة ياء ساكنة لحصول السرور لها ، فإن عين الحزين تكون مضطربة وعين السرور تكون ساكنة ، فقرت من القرار بمعنى السكون ، وقيل من القر (بضم القاف) وهو البرد ، والمعنى عليه بردت بدمعة الفرح ولم تسخن بدمعة الحزن عين قارئها ، والضمير المضاف إليه عائد على الآيات التي هي الألفاظ إن فسر قاريها بتاليها ، فإن فسر بقاصدها من " قرأت إليه " أي قصدت إليه كان الضمير المذكور عائداً على المعاني ، وقوله " فقلت له " أي فلما قرت عينه بقراءة ألفاظها أو بقصد معانيها لقارئها بمعنى تاليها أو قاصدها ، وقوله " لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم " أي والله لقد فزت بما يوصلك إلى الله ، فامتنع ببركة قراءته من عذاب الله أو امتنع باتباع أوامره واجتناب نواهيه من الوقوع في المخالفة المؤدية إلى عقاب الله تعالى ، نعوذ بالله من المخالفة ، فاللام موطئة للقسم، وقد للتحقيق ، والحبل استعارة تصريحية مرشحة لأنه شبه القرآن بالحبل بجامع أن كلا سبب يتوصل به إلى الأشياء فالقرآن يتوصل به إلى ثوابه ، والحبل يتوصل به إلى أمور محسوسة ، واستعار اسم المشبه به للمشبه وذكر الاعتصام ترشيح لأنه يناسب المستعار منه ، وكذلك قوله تعالى (فقد استمسك العروة الوثقى) ففيه استعارة تصريحية مرشحة لأنه شبه فيه الإيمان بالعروة واستعيرت العروة للإيمان ، والاستمساك ترشيح لأنه يناسب المستعار منه .

إن تتلها خيفة من حر نار لظى

أطفأت نار لظى من وردها الشبم (١٠١)

(١٠١) قوله " إن تتلها " إلخ أي إن تقرأها إلخ وقوله " خيفة " أي خوفاً فيكون مفعولاً لأجله أو خائفاً فيكون حالاً ، وقوله " من حر لظى " أي التي هي جهنم ، وقوله " أطفأت " إلخ جواب الشرط ، وقوله " نار لظى " فيه إظهار في مقام الإضمار لضرورة النظم ، وقوله " من وردها " بكسر

ولا تلتبس به الألسنة ولا تزيغ به الأهواء ، هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا : (إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد .....) " .

الواو وسكون الراء أي من موردها ، فمن للتعليل ، والورد بمعنى المورد ، وهو المحل الذي يورد منه الماء ، وقوله " الشبم " بفتح الشين المعجمة المشددة وكسر الموحدة : أي البارد وفي الكلام استعارة بالكناية ، حيث شبه الآيات بالماء تشبيهاً مضمراً في النفس بجامع الحياة بكل ، إذ الماء به حياة الأشباح ، والآيات بها حياة الأرواح أو بجامع إطفاء الحرارة بكل : فالماء يطفئ حرارة العطش ، والآيات تطفئ حرارة نار جهنم (أعاذنا الله منها بمنه وكرمه) وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيئ من لوازمه ، وهو الورد ، والشبم ترشيح لأنه يناسب المشبه به ، وحاصل المعنى : إن تقرأها خوفا من حر نار لظى ، أو خائفاً منه أطفأت عنك بتلاوتها نار لظى من أجل موردها البارد ، والشاهد لذلك ما رواه مسلم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه " .

كأنها الحوض تبيض الوجوه به

من العصاة وقد جاؤوه كالحمم (١٠٢)

(١٠٢) قوله " كأنها " إلخ أي كأن الآيات المذكورة ماء الحوض إلخ ، فيه مجاز بالحذف ، أو أنه عبر باسم المحل وأراد الحال به فيكون فيه مجاز مرسل ، وجملة قوله " تبيض " إلخ حال من الحوض على حذف المضاف السابق ، أو بمعنى " إنما " على ما علمت ، وقوله " الوجوه " أي ذوو الوجوه فهو على تقدير مضاف أو أنه عبر عن الذوات بالوجوه ، من باب التعبير باسم الجزء وأراده الكل ، وقوله " به " أي بالحوض ، وقوله " من العصاة " أي حال كونهم بعض العصاة ، فمن للتبعيض ويحتمل أنها بيانية ، وقوله " قدجاؤوه " إلخ والحال أنهم قدجاؤوه إلخ فالواو للحال ، والضمير الفاعل راجع للعصاة ، والضمير المفعول راجع للحوض ، وقوله " كالحمم " أي حال كونهم كالحمم بضم الحاء المهملة وفتح الميم الأولى أي مثل الفحمة فالحمم جمع حمة بمعنى فحمة ووجه تشبيهها بالحوض المذكور أن الآيات تشفع في تاليها ، وقد جاء مسود الوجه من المعاصي ، فيبيض وجهه بشفاعتها ، كما أن الحوض تبيض به وجوه العصاة حين يصب عليهم منه بعد مجيئهم من النار كالفحم في السواد الذي أصابهم من النار ، فيعودون بيضاً كالقراطيس ثم يدخلون الجنة ، ومراده بالحوض " نهر الحياة " لأن

تلك صفته لما في الخبر من اغتسال الجهنميين في بحر الحياة ففي خبر الصحيحين : " فيخرجون منها (أي من النار) فيلقون في ماء الحياة " وفي رواية " فيصب عليهم ماء الحياة " وفي هذا البيت التلميح للخبر السابق .

وكالصراط وكالميزان معدلة

فالقسط من غيرها في الناس لم يقم (١٠٣)

(١٠٣) قوله " وكالصراط " إلخ أي وهذه الآيات كالصراط استقامة ، وإنما حذف ذلك أعني الاستقامة لدلالة المعنى عليه ، والمراد " بالصراط " الدين الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الحق أو المراد به الجسر الممدود على متن جهنم ، الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف أو واسع في حق ناس ، ضيق في حق آخرين على الخلاف في ذلك ، يسير الناس عليه إلى الجنة على قدر أعمالهم فإنه خط مستقيم لا اعوجاج فيه بالنسبة لكل بعض من أبعاضه الثلاثة لا بالنسبة لجملته لأنه قد ورد أنه ألف سنة صعود وألف سنة استواء وألف سنة هبوط وقوله " كالميزان معدلة " أي وكالميزان من جهة العدل فمعدلة بمعنى عدلاً تمييز فإن قيل : ليس من لوازم الميزان العدل أجيب بأن " ال " في الميزان للعهد ، والمعهود هو الميزان الذي يكون يوم القيامة ، ومن لوازمه العدل أو المعهود هو الميزان المستقيم ، ولو كان في الدنيا ، وليست للاستغراق فيشمل كل ميزان وقوله " فالقسط من غيرها في الناس لم يقم " أي فالقسط بكسر القاف الذي هو العدل المأخوذ من غيرها لم يقم في الناس ، فإن قيل : العدل المأخوذ من غيرها قد يقوم في الناس كالمأخوذ من السنة والإجماع أو القياس ، أجيب بأن ذلك مأخوذ منها أيضاً ، أما المأخوذ من السنة فلقوله تعالى : " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " (الحشر/٧) وأما المأخوذ من القياس والإجماع فلأنه مستندهما الكتاب والسنة ، والمراد بالناس " الخصوص " وإلا لزم أن لا يكون في أهل التوراة وغيرهم من أهل الكتب السماوية عدل وهو باطل[٤] .

٤ كلام الشيخ رحمه الله تعالى عن الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء التي لم يلحقها تحريف ، أما ما حرفوه وكتبوه بأيديهم فضلال في ضلال وأصحابه ليسوا من العدالة في شيئ ، قال الله تعالى : " فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون " (البقرة/٧٩) .

الدين النصيحة

بقلم : الشيخ الطاهر بدوي

فأساس الدين المعاملة ، و أس المعاملة النصيحة التي تطهر المحبة من كل غش ، كما يصفى العسل من شمعه، فهي لله - كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم - و لكتابه و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم . فالنصيحة لله أن تؤمن به و تنفي كل شريك عنه ، و أن تترك الإلحاد في صفاته الكمالية ، و أن تقدسه و تطيعه ، و تحب فيه ، و تبغض فيه ، وأن لا ترى في الوجود مؤثراً سواه ، فلا النبي يهدي بنفسه ، و لا الشيطان يغوي بحيلته ، فالكل من عند الله ، يهدي من يشاء و يضل من يشاء و هو العزيز الحكيم . فلا النار تحرق ، ولا السكين يقتل إلا بأمر الله . ألم تكن نار نمرود برداً وسلاماً على إبراهيم ؟ ألم تخمد نيران الفرس عند ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل ذبح ابراهيم عيله السلام ابنه إسماعيل بسكينه ، وقد أمره الله بذلك في نفحات قربه ، وخاطبه ربه (وَنَادَيْنَاهُ أَن يَاإِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (سورة الصافات ١٠٤/١٠٥) .

واعلم أن المقادير أربعة : في العلم ، و اللوح المحفوظ (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) (سورة الرعد ٣٩) والرحم ، وسوق المقادير إلى مواقيتها التي حددها الله جل علاه الذي قال : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (سورة القمر ٤٩) ، يحفظك من أمر الله بأمر الله ، و في الحديث (إن الصدقة و صلة الرحم تدفع ميتة السوء و تقلبه سعادة) و (أن الدعاء و البلاء بين السماء والأرض يقتتلان و يدفع البلاء قبل أن ينزل) .

ودع عنك اعتقاد أهل الزيغ كالقدرية - مجوس هذه الأمة - والمعتزلة والثوية ، الذين يضيفون الخير لله و الشر لسواه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

والنصيحة لرسوله أن تحبه أكثر من نفسك و الناس أجمعين ، وأن تطيعه فيما أمر به ونهى عنه ، و من وصاياه صلى الله عليه وسلم ماروى زيد بن ثابت رضي الله عنه عن المختار صلى الله عليه وسلم أنه قال : (رحم الله من سمع مقالتي حتى يبلغها غيره) ثلاثة لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم :

[1] كبير علماء الجزائر .

إخلاص العمل لله و النصح لأئمة المسلمين و اللزوم لجماعتهم ، فإن دعاءهم يحيط من ورائهم . إنه من تكن الدنيا نيته يجعل الله فقره بين عينيه ، ويشتت عليه ضيعته و لا يأتيه منها إلا ما كتب له ، و من تكن الآخرة نيته يجعل الله غناه في قلبه ، و يكفيه ضيعته و تأتيه الدنيا وهي راغمة)) وهذه أمّنا عائشة رضي الله عنها تروي حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدى إيثاره على نفسه ، ولو شاء لأعطي - كما قال - مثل مُلك كسرى وقيصر ، فتقول : (ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قُبض رسول الله صلى الله عليه و سلم) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (أُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام سخن فأكل ، فلما فرغ قال : الحمد لله ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا و كذا) .

وذكر عمر رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا فقال : (لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يظل اليوم يتلوى ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه) .

فهذه سيرته العطرة وسيرة صحابته الراشدين من بعده ، و أولياء أمته في كل زمان ومكان الذين طلقوا الدنيا لله ، فخدمتهم و أتت إليهم وهي راغمة ، ورحم الله من قال :

أرى طالب الدنيا و إن طال عمره ... و نال من الدنيا سروراً و أنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه ... فلما استوى ما قد بناه تهدما

و النصيحة لكتابه أن تتلوه حق تلاوته و تجعله إمامك في الدنيا ليشهد لك في الأخرى ، فتُحل بحلاله و تحرم بحرامه ، فيمنح لأمتك الصحوة ، أعني تحرير فكرها و سلوكها من تقليد المجرمين ، و قد أمرك بالعلم قبل العبادة ، قال تعالى : (إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (سورة العلق ٥،٤،٣،٢،١) .

فالقرآن يحث أهله على الاستعداد الدائم لمواجهة كل طاغية وكل استبداد وكل عدو لله والرسول ، قال تعالى : (وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) (سورة الأنفال : ٦٠) فعدُو الله واحد في كل البقاع و الأزمان و إن اختلفت وسائل الدفاع والهجوم. ويؤكد لنا هذه الحقيقة الحتمية قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : (علموا أولادكم الرماية و السباحة و ركوب الخيل) فأصبحت الخدمة

الوطنية حتمية يتوارثها الأبناء عن الآباء و الأجداد ، لأنه لا وجود للمؤمن ولا سعادة لأمته إلا بالجهاد . فأمة المصالح تأبى الجهاد ، فتهدم كيانها بنفسها ، و تأوي إلى جحر عدوها حيث يجعلها كعصف مأكول ، إذ لا بد للنهضة من زمن ، و الصحوة مركزة على أصول الإسلام الحنيف ، ولا تنهض الأمة الإسلامية إلا بإيمان صحيح تُتوّجه وحدة ثابتة وكفاية في العيش و الأمن و الاستقرار تتمتع بهما الرعية إذا فهمت أن الإسلام قبل أن يكون دين عبادة فهو دين بر وإحسان وعفة وصدق وغيرة على الوطن ومقدسات الأمة ، و ذوق وخلق كريم ، وقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه يوماً (أتدرون من المفلس يوم القيامة ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال عليه الصلاة والسلام : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة و صيام ، و يأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه . أخذ من خطاياهم ثم طرح في النار . أو كما قال) .

والنهضة لا تقوم إلا بصحة في عقيدة الدعاة و عمق في تفكيرهم ولا تدوم إلا بالانتقاء والشمولية والتوازن ، وأعني بصحة العقيدة القدوة الصالحة التي يجب لكل داعية التحلي بها ، لأن الدعوة قدوة قبل أن تكون مقالة ، والدعوة منهجية في التبليغ ، ولا تسلم إلا بالمعرفة والحكمة والسيف عند الحاجة .

واعلم أن أول ما ينبغي لمن أحب أن يتعلم شيئاً من علم القرآن العظيم أن يعرف فيه الناسخ و المنسوخ ، وإلا كان كمن أمّ الناس و هم له كارهون ، وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : " لا يقضي على الناس إلا ثلاثة : أمير أو مأمور ، أو رجل عرف الناسخ والمنسوخ ، والرابع متكلف أحمق " .

والناسخ من كتاب الله على ثلاثة أضرب فمنه ما نُسخ خطه وحكمه ، ومنه ما نسخ خطه وبقي حكمه ، ومنه ما نسخ حكمه وبقي خطه .

فالأول كالآية التي عرّفنا إياها أنس بن مالك رضي الله عنه - بقوله " كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم سورة تعدلها سورة التوبة ما أحفظ منها غير آية واحدة : " ولو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى إليهما ثالثا ، ولو أن له ثالثا لابتغى رابعاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب و يتوب الله على من تاب " ومثل الثاني ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (لولا أكره أن يقول الناس قد زاد في القرآن

ما ليس فيه لكتبت آية الرجم و أثبتها ، فوالله لقد قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ترغبوا عن آبائكم فإن ذلك كفر بكم ، الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم". فهذا منسوخ الخط ثابت الحكم .

وأما ما نسخ حكمه وبقي خطه فهو في ثلاث وستين سورة مثل الصلاة إلى بيت المقدس ، والصيام الأول ، والصفح عن المشركين والإعراض عن الجاهلين .

وهل يقع النسخ من كلام القرآن العظيم إلا على الأمر والنهي فقط أم على جميع الأخبار ؟ خلاف بين العلماء .

وقال آخرون : وكل جملة استثنى الله منها بإلا فإن الاستثناء ناسخ لها . وأنكر قوم حكم الناسخ والمنسوخ في القرآن ، أولئك الذين ضلوا عن سبيل الله وأضلوا ، وعن الحق صدوا و بإفكهم عن الله ردوا . ألم يكفهم قول الله عز و جل : (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) (سورة البقرة : ١٠٦) .

و قال جل ذكره (وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ . قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (سورة النحل : ١٠١/١٠٢) . وفي إثبات الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم دلالة على وحدانية الله تعالى الذي إليه يرجع الأمر كله ويدبر شؤون خلقه كيف يشاء (لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) (سورة الأنبياء : ٢٣) .

و يقال : إن من ورع العالم العامل أن يتكلم و من ورع الجاهل العامل أن يسكت .

تندرج النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم ضمن قوله صلى الله عليه وسلم : (من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا فليس منا) فالرعية تطيع إمامها بلا نزاع إلا في معصية و ضرر بالأمة : كولاية عدو يكيد للإسلام كيداً . و الإمام يؤثر رعيته على نفسه كفعل الخلفاء الراشدين و عمر بن عبد العزيز من بعدهم ، فأبدلهم الله أمناً بعد خوف وعيشا رغيدا بعد ضنك، أولئك الذين مكنهم الله تمكن داود عليه السلام في الدنيا والآخرة . خدموا الله فخدمتهم الدنيا فخضعت لهم رقاب الجبابرة ، وانقادت للإسلام طائعة واعتنقته بذوق ويقين .

وكالإمام مالك رضي الله عنه الذي لم يرفض دعوة الأمير حينما دعاه لإلقاء درس في قصره فحسب بل طلب منه أن يحضر مجلس المسلمين في بيت الله ، و كباقي الأئمة من بعده اصطفاهم الله لنفسه ، و كساهم رسول الله صلى عليه و سلم ثوب خلافته ، قال العارف بالله الشيخ ابن عليوة رضي الله عنه :

كساه رسول الله ثوب خلافة تحلى بذاك الثوب بعدما تخلى
وكفى هو الوارث لسر ربه صفي نقي القلب بالحسن تحلى

فأمثال هؤلاء الذين أناروا سبيل الحق للخلق ، و سعد الناس بلقياهم ، فهذا جائع يتغذى من غذائهم ، و هذا ظمآن يسقى من معينهم . قال ابن عليوة رضي الله عنه في و صفهم :

هم بدل للرسل في كل أمة قاموا بدعوة الحق فاستوجبوا الفضلا
ووضحوا معنى السبيل للحق و قاموا شهودا على التوحيد كما قام الألى
هنيئا لهم من قوم قد جاد ربهم عليهم بقربه و بالرضى تجلى
هم القوم لا يشقى جليسهم قد قالا نبيهم في الصحيح صح ما قد قالا
هم العروة الوثقى بهم فتمسّكنّ هم أمان أهل الأرض في الخلا و الملا
لهم قلوب ترى مالا يرى غيرها أيقاظ و إن ناموا ففي نومهم وصلا
تالله نوم العارف يغني عن ذكره و كيف بصلاة العارف إذا صلى
يكون بسقف العرش حالة قربه واقفا مع الإله يالها من حالا

و مصاحبة هؤلاء القوم واجبة ، و للبقاء في ساحتهم شروط ثمانية يجمعها قولك (سمع و طاعة) أعني : كتمان الأسرار ، و المحبة في الله و رسوله ، والعلم النافع ، و الوفاء بالعهود ، و طهارة القلب ، والاجتهاد في الواجب ، والعفو مع القدرة ، ومحاسبة النفس عن كل صغيرة و كبيرة .

الأكل من الطيبات

بقلم: الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) سورة البقرة الآية/١٧٢- وقال جل وعلا : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) سورة المؤمنون الآية/٥١ - وقال : (يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا) سورة البقرة الآية/١٦٨ - والطيبات جمع طيبة ، هي تطلق على المستلذ مما لا ضرر فيه ، وعلى النظيف ، وعلى ما لا أذى فيه ، وعلى الحلال ، و قال عليه الصلاة والسلام : (رب أشعث أغبر مشرد في الأسفار مطعمه حرام ، وملبسه حرام ، غذى بالحرام . يرفع يده فيقول : يا رب ! يا رب ! فأنى يستجاب لذلك) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ، و قال صلى الله عليه وسلم : (كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به) أخرجه الترمذي .

هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وغيرها كثيرة تنهى عن أكل الحرام أو الخبيث ، وتأمر بالأكل من الطيبات الحلال ، قال ابن عباس رضى الله عنه: لا يقبل صلاة امرئ في جوفه حرام . وقال سهل رضي الله عنه : من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى، علم أو لم يعلم ، ومن كانت طعمته حلالا أطاعته جوارحه و وفقت للخيرات . وقال سفيان الثوري رضى الله عنه : من أنفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول ، والثوب النجس لا يطهره إلا الماء والذنب لا يكفره إلا الحلال . قال عليه الصلاة والسلام : (من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قذفه في النار) رواه أبو داود .

و المال يحرم إما لمعنى في عينه أو لخلل في جهة اكتسابه . فأما

الحرام لصفة عينه فتفصيله أن الأعيان المأكولة على وجه الأرض لا تعدو ثلاثة أقسام : فإنها إما تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما أو من النباتات أو من الحيوانات ، أما المعادن فهي أجزاء الأرض و جميع ما يخرج منها فلا يحرم أكله إلا من حيث إنه يضر بالأكل ، وفي بعضها ما يجري مجرى السم ، وأما النباتات فلا يحرم منها إلا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصحة ، فمزيل العقل كالبنج و الخمر وسائر المسكرات و المخدرات ، و مزيل الحياة كالسموم ، و مزيل الصحة كالأدوية في غير وقتها ، و كان مجموع هذا يرجع إلى الضرر إلا الخمر و المسكرات ، فإن الذي لا يسكر منها أيضاً حرام مع قلته لعينه و لصفته ، و السم فإذا خرج عن كونه مضراً لقلته أو لعجنه بغيره فلا يحرم ، أما الحيوانات فما يحل أكله منها : ما يذبح شرعياً وما لم يذبح شرعياً أو مات فهو حرام ، ولا يحل إلا ميتتان : السمك والجراد ، يحرم على المسلم أكل الخنزير و الدم و يحل له الكبد والطحال .

أما ما يحرم لخلل في جهة إثبات اليد عليه أي خلل في جهة اكتسابه : فإن أخذ المال إما أن يكون باختيار المالك أو بغير اختياره فالذي يكون بغير اختياره كالإرث و الذي يكون باختياره إما أن لا يكون من مالك أو يكون من مالك ، و الذي أخذ من مالك فإما أن يؤخذ قهراً أو يؤخذ تراضياً ، و المأخوذ قهراً إما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم أو لاستحقاق الأخذ كزكاة الممتنعين و النفقات الواجب عليهم ، والمأخوذ تراضياً إما أن يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والأجرة ، وإما أن يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا السياق ستة أقسام :

الأول ما يؤخذ من غير مالك كنيل المعادن وإحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الأنهار والاحتشاش ، فهذا حلال يشترط أن لا يكون المأخوذ مختصاً بذي حرمة من الآدميين ، فإذا انفك من الاختصاصات ملكها آخذها .

الثاني المأخوذ قهراً ممن لا حرمة له ، وهو الفيئ والغنيمة وسائر

أموال الكفار والمحاربين وذلك حلال للمسلمين إذا أخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ، ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد .

الثالث ما يؤخذ قهراً باستحقاق عند امتناع من وجب عليه ، فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض أو سلطان أو مستحق .

الرابع ما يؤخذ تراضياً بمعاوضة ، وذلك حلال إذا روعي شرط المعوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين أي الإيجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به اجتناب الشروط المفسدة .

الخامس ما يؤخذ عن رضا من غير عوض وهو حلال إذا روعي فيه شروط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد إلى ضرر بوارث أو غيره كما في الهبات و الوصايا و الصدقات .

السادس ما يحصل بغير اختيار كالميراث وهو حلال إذا كان الموروث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ، ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصيات وتعديل القسمة بين الورثة وإخراج الزكاة والحج والكفارة إن كان واجباً.....(١)

قال سهل بن عبد الله : النجاة في ثلاثة : أكل الحلال و أداء الفرائض و الاقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام . وقال أبو عبد الله الساجي واسمه سعيد بن يزيد : خمس خصال بها تمام العلم وهي معرفة الله عز وجل ومعرفة الحق وإخلاص العمل لله والعمل على السنة وأكل الحلال . فإن فقدت واحدة لم يرفع العمل . قال سهل : ولا يصح أكل الحلال إلا بالعلم . و لا يكون المال حلالا حتى يصفو من ست خصال : الربا والحرام والسحت والغلول والمكروه والشبهة . و يدخل تحت باب أكل أموال الناس بالباطل القمار والخداع والغصوب وجحد الحقوق وما لا تطيب به نفس مالكه أو حرمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه كمهر البغي وحلوان الكاهن وأثمان الخمور والخنازير وما يحكم به

القاضي وأنت تعلم أنك مبطل ، فالحرام لا يصير حلالاً بقضاء القاضي لأنه إنما يقضي بالظاهر . (٢) و من المكاسب المحرمة أيضا السرقة و ترويج البضاعة بالكذب والحلف والرشوة والعمالة للمستعمرين وشراء أوراق اليانصيب والاتجار بالأفلام الخليعة وكلها تستهدف الحصول على المال بغير حق وترمي إلى رأس المال بأيسر جهد ، والربح الذي يأتي عن هذه المكاسب الآنفة الذكر هو ربح باطل وكسب حرام . (٣) .

ومن الأعمال التي يرفضها الشرع ويحرمها الربح الناتج منها ، العمل في صناعة الخمور وتجارتها ، والعمل في الميسر بسائر صوره ، والقيام بالدفاع عن المتهم مع علم من يدافع عنه بأنه ارتكب الجريمة . لأن في ذلك ضياعاً للحقوق وإضراراً بصاحب الحق ، قيام طبيب بإجهاض امرأة حامل لمجرد التخلص من الجنين لأن في ذلك قتلاً لنفس بغير حق ، تواطؤ المحاسبين مع الممولين لإخفاء حقيقة أرباحهم للتهرب من الضرائب ، لأن في ذلك إهداراً للأموال العامة ، العمل لدى تاجر في بخس الكيل والميزان لأنه أكل لأموال الناس بالباطل وإضرار المشترين، العمل في ملهى يعرض الفن لأن في ذلك إفساداً للأخلاق وإثارة للغرائز وإشاعة للفاحشة بين الناس ، العمل في صناعة وارتكاب غش في الإنتاج ، لأن في ذلك إلحاق الأذى بأموال وصحة المستهلكين، وقد تؤدى إلى ضياع أرواحهم كما يحدث في صناعة مقاولات المباني(٤) .

فالإسلام لا يقر الصناعات التي تؤدي إلى الإفساد في الأرض والإضرار بالناس ، ولا يقر أن تتخذ بعض المنتجات الصناعية كوسيلة للإفساد ، فقد نبه القرآن الكريم الناس بعدم اتخاذ ما يصنعونه من الأبنية والقصور وسيلة للتفاخر والاجتماع بها للفساد . فيقول سبحانه و تعالى : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون و تتخذون مصانع لعلكم تخلدون) سورة الشعراء الآيات ١٢٨/١٢٩. وكذلك فالأعمال التي تعين الظلمة على ظلمهم وتيسر لهم مهام طغيانهم فهي حرام وحرام أخذ أجر عليها. (٥) وكل عمل يؤدي إلى ضرر الآخرين أو غشهم أو إيقاع الإيذاء بهم حتى ولو كان فيه منفعة لصاحبه فهو عمل غير مشروع في الاسلام ،

وقاعدة من قواعد التشريع الإسلامي تنص على : لا ضرر ولا ضرار ، فكل عمل يؤدي إلى الإضرار بالفرد أو الجماعة فهو عمل غير مشروع في الإسلام ، وكذلك كل عمل يضر بكيان الدولة العام كالتجسس والاتجار مع الأعداء والعمل مع الظلمة عمل غير مشروع في الإسلام ، لأن الظلم حرام (والظلم ظلمات يوم القيامة) ، فكل عمل يظلم الآخرين أو يعتدي على حقوقهم أو يهضمها من غير وجه حق فهو عمل غير مشروع (٦) ومن غير المباح أن يؤجر الإسكافي والخياط نفسيهما على خياطة شيئ من زي الفساق ولو كان الأجر على هذا كبيراً لأنهما بهذا العمل يعينان على المعصية ، والإسلام لا ينهى عن علم إلا أن يكون منافياً للدين والأخلاق . (٧) وأن الله سبحانه وتعالى إذا حرم شيئا حرم ثمنه وإذا حرم ثمنه حرم ربحه الناتج منه وحرم الإنفاق منه ، وعلاج الكسب الحرام هو رد الحقوق إلى أصحابها إن عرفوا وأمكن ردها إليهم ، وألا ينفق المال الناتج من كسب حرام على المصلحه العامة .

ما يحل لبسه واستعماله وما لا يحل: يحرم أن يلبس أحد ثوباً من مال حرام أو مأخوذاً بطريق الغش و الخيانة أو النصب ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : (لا يقبل الله صلاة أو صيام من يلبس جلباباً أي قميصاً من حرام حتى ينحي أي حتى يبعد ذلك الجلباب عنه) وكذلك يحرم اللباس بقصد الفخر والعجب، ويحرم على الرجال لبس الحرير ، ولا يجوز أن يجلسوا عليه أو يناموا عليه ، ويحرم استخدام الحرير في الكتابة أو الرسم أو ستر الجدران به إلا ستر الكعبة ، ويحرم على الرجال اتخاذ منديل من الحرير ، ويحل للرجل أن يلبس ثوباً بعضه القليل من الحرير ، والبعض الغالب صوف أو قطن أو كتان ، أما النساء فيحل لهن لبس الحرير وفرشه واستعماله بسائر أوجه الاستعمال، وكذلك الصبي الذي لم يبلغ ، وأيضا يحرم لبس مصبوغ بالزعفران أو المصبوغ بالعصفر كله أو جزء كبير فيه . ويحرم على الرجل والمرأة استعمال أواني الذهب والفضة فلا يحل لرجل أو امرأة أن يأكل أو يشرب فيها لقوله عليه الصلاة و السلام : (لا تشربوا في آنية

الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا و لكم في الآخرة) وكما يحرم استعمالها يحرم اقتناؤها بدون استعمال ، وكذلك يحرم الأكل بملعقة الذهب والفضة ، واتخاذ ميل المكحلة منهما ، والمرآة وقلم الدواة والمشط والمبخرة ، وكذا يحرم اتخاذ فنجان القهوة من الذهب والفضة وظرف الساعة وقدره التمباك "الشيشة" ونحوها (٨) .

واليوم وقد اتخذت بعض النساء من إجازة التحلي بالذهب والفضة ذريعة لاكتناز كميات كبيرة منه والتباهي والتفاخر به ، وقد أصبح اقتناء هذا الذهب مشكلة تمثل عبأ على الاقتصاد لأنها أموال مجمدة لا يستفيد بها ، وللشيخ ناصر الدين الألباني رأي في اقتناء السيدات للذهب مستنداً على الأحاديث الآتية : عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : (أيما امرأة تقلدت قلادة من ذهب قلدت في عنقها مثلها من النار يوم القيامة، وأيما امرأة جعلت في آذانها قرطا من ذهب جعل في آذانها مثله يوم القيامة) رواه أبوداود والنسائي . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : (من أحب أن يحلق حبيبه حلقة من نار فليحلقه حلقة من ذهب ، ومن أحب أن يطوق حبيبه طوقا من نار فليطوقه من ذهب ، ومن أحب أن يسور حبيبه سواراً من نار فليسوره بسوار من ذهب ولكن عليكم بالفضة فالعبوا بها) رواه أبو داود . وحديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام أنكر على فاطمة رضي الله عنها سلسلة من ذهب كانت تتحلى بها فباعتها واشترت بثمنها عبداً فأعتقته فحدث النبي عليه الصلاة والسلام بذلك فقال : (الحمد لله الذي أنجى فاطمة من النار) رواه النسائي . فقد ذهب الشيخ ناصر الدين الألباني في عصرنا مذهباً جديداً في هذه الأحاديث فحكم بصحتها ورآها نصاً محكماً في تحريم الذهب المحلق على النساء مخالفا بذلك ما نقل من الإجماع على إباحته وما استقر عليه الفقه في جميع المذاهب وما رضي عليه عمل

الأمة طوال أربعة عشر قرنا (٩) وليعلم كل مسلم أن طلب الحلال والسعي إليه وتجنب الحرام والبعد عنه فرض عليه ، ويجتهد في ذلك أقصى جهده ليطيب مطعمه ومشربه وسائر رزقه ، قال عليه الصلاة والسلام : (الحلال بين و الحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير .

والورع عن الحرام أربع درجات : الأولى وهي ورع العدل ومعناه الكف عن كل ما تحرمه فتوى الفقهاء . الثانية و هي ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص فيه بناء على الظاهر فهو من مواقع الشبهة و أمثلته كل شبهة لا توجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما في قوله عليه الصلاة والسلام : (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) فقوله (دع ما يريبك) أمر تنزيه ، الثالثة وهي ورع المتقين ، وهو الورع عن بعض الحلال مخافة الوقوع في الحرام ، وهذا ما لم تحرمه فتوى . ولا شبهة في حلاله ، ولكن يخاف منه أداؤه إلى محرم ، وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس كما قال عليه الصلاة والسلام : (لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام ، الرابعة وهي ورع الصديقين وهو الامتناع عن ما لا بأس به أصلا ولا يخاف منه أن يؤدي إلى ما به بأس ، ولكنه يتناول لغير الله و على غير نية التقوى به على عبادة الله أو تتطرق إلى أسبابه المسهلة له كراهية أو معصية . فالورع له أول وهو الامتناع عما حرمته الفتوى وهو ورع العدل ، و له غاية وهو ورع الصديقين ، و ذلك هو الامتناع عن كل ما ليس لله مما أخذ بشهوة أو توصل إليه بمكروه أو اتصل بسبب مكروه .

وبينهما درجات في الاحتياط ، فكلما كان العبد أشد تشديداً على نفسه كان أخف ظهراً يوم القيامة ، وأسرع جوازاً على الصراط،

و أبعد عن أن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته ، وتتفاوت المنازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع ، درجات الحرام بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع ، كما تتفاوت درجات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الخبث ، وإذا علمت حقيقة الأمر فإليك الخيار فإن شئت فاستكثر من الاحتياط وإن شئت فرخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص . (١٠) والحلال المطلق هو الذي لا تتعلق بذاته صفة توجب تحريماً لعينه و لا يتعلق بأسبابه ما يطرق إليه تحريماً أو كراهية ، مثال ذلك الماء الذي يأخذه الإنسان من المطر قبل أن يقع على ملك أحد . والحرام المحض ما فيه صفة محرمة كالشدة في الخمر و النجاسة في البول أو حصل بسبب منهي عنه كالمتحصل بالظلم و الربا ، فهذان الطرفان ظاهران ويلتحق بهما ما تحقق أمره ، ولكنه احتمل تغيره ، ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه ، فإن صيد البر والبحر حلال إلا أنه من صاد ظبية أو سمكة فإنه يحتمل أن يكون قد ملكها صياد ثم أفلتت، وهذا الاحتمال لا يتطرق إلى ماء المطر المختطف من الهواء ، ويسمى هذا بورع الموسوسين لأنه وهم مجرد لا دلالة عليه ، أما المشتبهات فالأمثلة فيها كثيرة و يهمنا منها ، المثال الأول : الشك في المحلل أو المحرم وينقسم إلى أربعة أنواع .

أ- أن يكون الحل معلوماً من قبل أن يقع الشك في المحلل ، فهذه شبهة يجب اجتنابها و يحرم الإقدام عليه ، مثاله أن يرى صيدا فيجرحه فيقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري هل مات بالغرق أو بالجرح ، فهذا حرام لأن الأصل التحريم .

ب- أن يعرف الحل و يشك في المحرم فيكون الأصل الحل والحكم له كما لو طار طائر فقال رجل : إن كان هذا غرابا فامرأته طالق ، وقال آخر : وإن لم يكن غرابا فامرأته طالق ثم التبس الأمر ، فإنا لا نقضي بالتحريم في واحد منهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما .

ج- أن يكون الأصل التحريم ولكن طرأ ما يوجب التحليل بظن غالب مشكوك فيه والغالب حله ، مثاله أن يرمي إلى صيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر سوى سهمه ، فهذا الظاهر فيه الحل لأن الاحتمال إذا لم يستند إلى دليل التحق بالوسوسة فأما إن ظهر عليه أثر صدمة أو جراح أخرى فقد التحق بالنوع الأول .

د- أن يكون الحل معلوما و لكن يغلب على الظن طرأ المحرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا . مثاله أن يؤدي اجتهاده إلى نجاسه أحد الإنائين بالاعتماد على علامة معينة توجب عليه الظن فتوجب تحريم شربه كما أوجب منع الوضوء به. المثال الثاني : أن يختلط الحرام بالحلال و يشتبه الأمر فيه ، ومنها :

أ- إذا اختلطت ميتة بمذكاة أو بعشرة من المذكيات و نحو ذلك من العدد المحصور ، و مثله أن تشتبه أخته بأجنبيات فهذه شبهة يجب اجتنابها .

ب- أن يختلط حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اشتبهت أخته أو عشر رضائع ، فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح أهل البلد، بل له أن ينكح من شاء منهن لأن في تحريمهم حرجاً كبيراً ، وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعا لم يلزمه الشراء والأكل لأن في ذلك حرجاً ، وقد علم رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه أن في الناس من يرابي وما تركوا الدراهم بالكلية، وأن مجنا سرق في زمانه وما تركوا شراء المجن ، فاجتناب هذا من ورع الوسوسة .

ج- أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الأموال في زماننا هذا فلا يحرم بهذا الاختلاط تناول شيئ بعينه إلا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام ، نحو أن يأخذه من يد سلطان ظالم فإن لم يكن عليه علامة فتركه ورع و لا يحرم ذلك ، لأنه قد علم في زمان رسول الله عليه الصلاة و السلام و الخلفاء بعده أن أثمان الخمور و دراهم الربا وغلول الغنيمة اختلطت بالأموال ، وقد أدركت

الصحابة نهب المدينة و تصرف الظلمة ولم يمنعوا من الشراء بالسوق ولو لا صحة ذلك لانسد باب جميع التصرفات ، فإن الفسق يغلب على الناس ، الأصل في الأموال الحل وإذا تعارض أصل و غالب ولا أمارة على الغالب حكم بالأصل ، اعلم : أنه لو قدم لك الطعام أو أهديت لك هدية أو أردت أن تشتري شيئاً من شخص فليس لك أن تقول : هذا مما لا أتحقق حله فأريد أن أفتش عنه ، وليس لك أن تترك البحث مطلقا ، بل السؤال واجب مرة و حرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة ، و القول الشافي فيه أن مظنة السؤال الريبة وهي تحصل إما من أمر يتعلق بالمال أو بصاحب المال ، أما ما يتعلق بصاحب المال فنحو أن يكون مجهولا وهو الذي ليس عليه قرينة تدل على ظلمه كزي الأجناد ولا على صلاحه كثياب أهل العلم والزهد ، فها هنا لا يجب السؤال ولا يجوز، لأن فيه هتك المسلم و إيذاءه ولا يقال لهذا إنه مشكوك فيه لأن المشكوك فيه هو الذي تحصل فيه الريبة بدلالة مثل أن يكون من أهل البوادي المعروفين بالظلم وقطع الطريق ، فهذا يجوز معاملته لأن اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعاف إلا أن الترك من الورع ، وأما ما يتعلق بالمال فنحو أن يختلط الحرام بالحلال كما إذا طرح في السوق أحمال من طعام مغصوب فاشتراها أهل السوق فإنه لا يجب على من يشتري في تلك البلدة من السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أن أكثر ما في أيديهم حرام ، فعند ذلك يجب السؤال ، فإن لم يكن الأكثر حراماً كان التفتيش ورعا غير واجب، وكذلك إذا كان كان رجل له مال حلال خالطه حرام مثل أن يكون تاجرا يعامل معاملات صحيحة ويرابي فهذا إن كان الأكثر من ماله حراما لم تجز قبول ضيافته و لا هديته إلا بعد التفتيش فإن ظهر أن المأخوذ من وجه حلال جاز و إلا ترك . وإن كان الحرام أقل فالمأخوذ شبهة و الورع تركه ، و اعلم أن السؤال إنما يقع لأجل الريبة فلا ينقطع إلا من حيث تنقطع الريبة المفضية له بأن يكون المسئول متهما فإن كان متهما وعلمت أن له فرضا في حضور أو قبول هديته فلا ثقة بقوله و ينبغي أن يسأل غيره . (١١)

والحلال المحض لا يحصل منه لمؤمن في قلبه ريب ، والريب بمعنى القلق والاضطراب بل تسكن إليه النفس ويطمئن به القلب ، أما المتشابهات فيحصل بها للقلوب المؤمنة الصافية المتصلة بالله قلق واضطراب ، ومن الأمثلة الحية التي مارسها السلف الصالح رضوان الله عليهم في الورع في الكسب و خاصة في التجارة فأنعم الله عليهم بمزيد من فضله : كان للإمام أبو حنيفة تجارة يتكسب منها فعلم أن شريكه باع صفقة من الثياب وفيها ثوب معيب دون أن يطلع المشتري على عيب الثوب ، وكان المشتري تاجراً غريباً فلم يعثر له على أثر ، فتصدق أبوحنيفة بقيمة الصفقة كلها تورعاً أن يدخل عليه قيمة الثوب المعيب . وكان عند يونس بن عبيد ثياب مختلفة الأثمان ضرب قيمة بعض منها أربعمأة لكل حلة والباقي مائتان للحلة الواحدة ، فذهب إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها و مضى بها وهي على يديه ، فاستقبله في الطريق يونس فعرف أنها من بضاعته ، فقال للأعرابي : بكم اشتريت ؟ فقال بأربعمائة . فقال يونس : لا تساوي أكثر من مائتين فارجع حتى تردها . فقال الأعرابي : هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا ارتضيتها . فقال له يونس : انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها . ثم رده إلى الدكان و رد عليه مائتي درهم . و خاصم ابن اخيه وقاتله وقال له : أما استحييت ؟ أما اتقيت الله ؟ تربح مثل الثمن و تترك النصح للمسلمين ؟ فقال : والله ما أخذها إلا وهو راض بها . قال يونس : فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك . وكان السري السقطي قد اشترى لوزاً ، الكر منه بستين ديناراً وكتب عنده أن ربحه ثلاثة دنانير ، فصار اللوز بتسعين فأتاه الدلال وطلب اللوز ، فقال : خذه . قال الدلال : بكم . قال : بثلاثة و ستين . فقال الدلال : - وكان من الصالحين- اللوز بتسعين . فقال السري : لقد عقدت عقداً لا أحله ، لست أبيعه إلا بثلاثة و ستين . فقال الدلال : وأنا عقدت بيني و بين الله ألا أغش مسلماً ، لست آخذ منك

إلا بتسعين . فلا الدلال اشترى ولا السري باعه . (١٢) والأمثلة غير ذلك كثيرة لا يتسع المجال لسردها هنا ، ولكنها كانت هي معاملاتهم المالية ، فبارك الله لهم في أرزاقهم ورزقهم من حيث لم يحتسبوا ولم تشيهم زيادة رزقهم أو قلته عن الورع في الكسب واتقاء الشبهات ، فتخيل ونحن نعيش في مثل هذا الجو من المعاملات الطيبة تمثله الأثرة ويقضي على الأنانية والشح ويكون النصح فيه لله ، وكل منا يحب لغيره ما يحبه لنفسه و نسير على المعاملات الإسلامية والخلق الإسلامي ، فكم سيجني هذا الجو من سعة رزق الجميع ، عندما لا يشري سلعة إلا بثمنها عن طيب خاطر البائع والمشتري وكلاهما راض و قانع ، البائع قانع بالمكسب المعتدل والمشتري راض بما دفع ثمنا للسلعة داعياً الله عز و جل أن يبارك له في ربحه .

المراجع

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ج٢ ص ٨٢/٨٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ج٢ ص ٢٠٨

(٣) التكافل الاجتماعي في الإسلام - عبد الله ناصح علوان ص٤٨

(٤) الإطار الأخلاقي لمالية المسلم - قطب إبراهيم ص ٤٨- ٤٧

(٥) الإطار الأخلاقي لمالية المسلم - قطب ابراهيم ص ١٤٥

(٦) العمل في الاسلام - عيسى عبده وأحمد إسماعيل ص٩١/٩٧

(٧) دراسة إسلامية في العمل و العمال - لبيب السعد ص ٢٣/٢٥

(٨) الفقه علي المذاهب الأربعة - عبد الرحمن الجزيري ج٢ ص١- ١٧

(٩) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف – د/ يوسف القرضاوي ص١٦٧

(١٠) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ج١ ص٨٦/٩٠

(١١) مختصر مناهج القاصدين - أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ص ٩٨/٩٢

(١٢) اشتراكية الإسلام – د/ مصطفي السباعي ص٣٤٤/٣٤٩

إسهامات العلامة شبلي النعماني في إصلاح المناهج التعليمية في الهند

بقلم : د . محمود حافظ عبد الرب مرزا
أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية والفارسية، جامعة الله آباد

لقد ظل الصراع محتدماً في شبه القارة الهندية خلال أواخر الثمانينيات من القرن المنصرم بالذات - ولا يزال إلى الآن - حول كيفية إصلاح المناهج التعليمية لكي يتسنى لأبناء المسلمين التسلح بالعلوم القديمة والإلمام بالعلوم الحديثة في آن واحد ، حتى وفق الله طبقة من كبار العلماء الذين جازفوا بتأسيس دار العلوم ندوة العلماء ، فكانت هذه المدرسة خير نموذج لتطبيق دراسات العلوم الحديثة والعلوم القديمة بشكل متزن ، حتى أنارت للبلاد الطريق القويم في اختيار المناهج الدراسية والعمل على إجراء التعديلات عليها وفق مقتضيات العصر من حين لآخر .

ومن كبار العلماء الذين ساهموا في هذا المجال المهم ، الذين نفتخر بهم ، ونُعدّهم من القلائل الذين رفعوا مكانة البلاد على الساحة العالمية ومنحوها مكانة مرموقة تليق بالأعمال العلمية والأدبية والدينية التي دبّجها يراعهم ، هو العلامة شبلي النعماني ، الذي عُرف في الهند وخارجها بنشاطاته العلمية وخدماته الجليلة التي لا تقل أهمية عن مثيلاتها ، بل تفوق غيرها في عدد من الميادين نحو السيرة النبوية والتاريخ والفلسفة والشعر والأدب الفارسي ، ناهيك عن المؤلَّف الذي ألفه باللغة العربية باسم (الانتقاد على تاريخ التمدن الإسلامي) والذي يُعتبر مثالاً فريداً لحبه وشغفه المولَع بالدين الإسلامي الحنيف والدفاع عنه ومحاربة كافة الآراء التي تناهض وتعادي الأفكار الإسلامية ، بقلمه الرصين .

استطاع العلامة أن يتعلم من أمهات الكتب العربية التي لم تتوافر للعديد من معاصريه بفضل رحلته إلى القسطنطينية والشام ومصر ، وشغفه بالعلم ، وحرصه الدائم على احتواء الكتب ودراستها والاستفادة منها ليشبَع من خلالها فضوله ويشفي بها غليله .

ولد العلامة أيام حركة التحرير الهندية الأولى عام ١٨٥٧م ، الأمر الذي ترك بالفعل انطباعات على شخصيته ، فشبّ وترعرع وهو يشاهد ما

تقترفه الأيادي البريطانية من ظلم وبطش وعدوان على المسلمين ، لأنهم هم الذين قاموا بالثورة على الاستعمار البريطاني وتحرير البلاد منه ، فأخذ المستعمرون البريطانيون يجردونهم من كافة الميادين فتخلفوا في معظم مجالات الحياة حتى وقعوا ضحية التخبط والارتباك وانعدام الرؤى في اختيار النهج القويم لاستعادة النشاط المسلوب والقوة الإيمانية التي منحها الله تعالى إياهم من جديد .

وأدرك العلماء هذا الواقع المرير واقتنعوا بأنه لا سبيل للتخلص من هذا المأزق ، اللهم إلا بالعمل الدؤوب نحو تحقيق الأهداف المرجوة بواسطة النهوض في مجال التعليم فانقسموا إلى طائفتين : طائفة تمسكت بالعلوم الشرقية القديمة التليدة ، وعضّت عليها بالنواجذ ، ونتج عنها دار العلوم بديوبند ، وطائفة تخلت عن تلك العلوم وبدأت مسيرتها في العلوم الغربية الجديدة وتخوض في كافة غماره بدون أي تفكير في تداعياتها السلبية على أبناء البلاد ، لأنها تفصلهم عن دينهم ، فنشأت عنها الكلية الإسلامية بمدينة علي جراه ، التي انجرفت مع تيار الحضارة الغربية ولم يكن المشرفون عليها يرون أي سبيل للتقدم إلا عن طريق التطفل على مائدة الغرب .

واختار العلامة شبلي النعماني بفضل تربيته الخاصة وعقليته الإسلامية المتفتحة طريقاً وسطاً فلم يُحرّم المعارفَ الحديثة ، ولم يؤمن بها إيماناً أعمى ، بل استفاد منها بعين مفتوحة، وعقل واسع ناقد ، فلعب دوراً بارزاً في إصلاح المنهج التعليمي في الهند وفي سائر البلدان العالمية ، نظراً لإلمامه الدقيق بالعلوم الشرقية الصالحة وإتقانه للعلوم الحديثة الغربية النافعة ، فكان خير امتزاج لهذين النموذجين .

سافر العلامة شبلي النعماني إلى القسطنطينية والشام ومصر عام ١٨٩٢م ، ولم تكن رحلته هذه رحلة سياحية ترفيهية لتسلية القلب أو ترويح النفس ، بل كان وراءها عوامل ونوازع علمية وتعليمية وسياسية ومقاصد نبيلة وأهداف سامية ، لعبت دوراً هاماً في تكوين مساره العقلي ونهجه الفكري . وزادت هذه الرحلة من كراهيته وبغضه للبريطانيين ، وحبه للترك وإجلاله لهم . وكان العلامة يتطلع بشغف ليتعرف على المزيد عن هذه الأماكن لكثرة دراسته للعلوم الدينية والكتب ذات الصلة ، ففسحت زيارته مجاله الفكري وزودته بدراسات علمية جديدة ، واطلع خلال زيارته لمكتبات القسطنطينية والقاهرة على كتب قيمة نادرة مطبوعة وخطية من

العلوم والفنون المختلفة ، ثلج بها صدره وقرّت عيناه[1] . وتأثر العلامة شبلي النعماني خلال زيارته بتدهور أحوال المسلمين هناك أيضاً ، ومدى تخلفهم عن ركب الحضارة والتقدم ، وشاهد خلال جولته وضع المسلمين السيء والمتدهور وانحطاطهم المشين فأحال رسالة إلى والده جاء فيها :-

" خابت آمالي في تقدم المسلمين ، فوضعهم هنا لا يختلف عمّا هو في الهند ، إلا أنني لا أنكر فضل هذه الرحلة ومدى قيمتها ، لأن الأثر الذي تركته هذه الرحلة في قلبي لم أكن أوفق إليه بدراسة الآلاف من الكتب ، وا أسفاه على الذين يعيشون حياتهم في حجرة مغلقة أو برج من العاج"[2].

وبعد هذه الرحلة ، أصبح العلامة شبلي النعماني مقتنعاً بضرورة إصلاح المناهج التعليمية ، وفتح مدرسة دينية تقوم على أساس العلوم الشرقية الصالحة والعلوم الغربية النافعة . لأنه أدرك بالفعل بأن اتباع النموذجين السابقين هو عبارة عن مجازفة بمصير أبناء البلاد ، وأنه سيؤثر عليهم بشكل سلبي في المستقبل . لذا اقتنع باختيار منهج وسط ، فكان من رواد هذه الطبقة ، ودعا بشدة ، إلى ضرورة إصلاح المنهج الديني في المدارس الإسلامية ، وأن لا يتم تدريس العلوم القديمة فيها فقط ، بل يتم توسيع نطاقها لتشمل بعض العلوم العصرية الحديثة وتضمن تخرّج دفعة تُلِمّ بكافة العلوم وتتمكن من مواكبة سير الحياة وتحمل عبء الرسالة . يقول العلامة السيد سليمان الندوي :

" كانت لرحلته آثار بعيدة المدى ، ساعدت في دعم رأيه بأن المسلمين يحتاجون إلى منهج دراسي جديد يجمع بين العلوم القديمة والعلوم الحديثة جمعاً متزناً عادلاً ، لأن القديم وحده لا يساير الزمن ، والحديث وحده يفصِلُ المرءَ عن الدين والإيمان" [3] .

وكان يرى العلامة بأن إصلاح المنهج التعليمي يُعتبر الخطوة الرئيسية لتقدم المسلمين ، إلا أنه أصيب بخيبة أمل لما شاهده في البلدان

---

١ مجلة ثقافة الهند ، ص٢١ المجلد ٤٣ ، العدد ٣، عام ١٩٩٢م . .

٢ مكاتيب شبلي ، ١٣/١.

٣ مجلة ثقافة الهند ، ص٢١- ٢٢ المجلد ٤٣ ، العدد ٣ ، عام ١٩٩٢م .

التي زارها خلال رحلته ويقول :-

" إن الذي سلب سروري في هذه الرحلة هو انحطاط هذا المنهج الدراسي القديم وما أصابه من البلى ، كنا نصير في الهند بسبب أن النظام الذي لا تتولاه الحكومة من الطبيعي أن يضيع ، ولكنني أصبت بالدهشة والألم لمشاهدتي ذات الحال في القسطنطينية والشام ومصر" ٤ .

وتمخض عن هذا السعي الجاد والمثابرة للتوصل إلى حل دائم لواقع المسلم المرير ، إنشاء دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ ، ورأى العلامة شبلي النعماني أن المنهج التعليمي السائد في جميع أنحاء الهند يستحق إصلاحاً جذرياً ، لأن التعليم ومناهجه في ذلك الوقت كان مقيداً بالقيود والأغلال التقليدية ومبنياً على دراسة المواد الدينية أو الحديثية فقط ، فتمرد على هذه التقاليد ، وقال: إن الوقت قد حان لكي نعيد النظر في القضايا التعليمية للجيل الناشئ ونجعلها وفق متطلبات العصر . وبعد أن استطاع العلامة تولي مسئولية إدارة شئون التعليم على النحو الذي يسمح له بفرض آرائه وأفكاره وخواطره، بدأ بإصلاح المنهج التعليمي القديم تدريجياً ، فاستطاع بالرغم من المعارضات إخراج بعض الكتب من المقرّرات الدراسية ، التي كان يرى أن الانغماس فيها ليس إلا مضيعة للوقت وأنه يجب على الطلاب الاستفادة من كتب أخرى تحيط بالموضوع بدون لف ولا دوران ، تفادياً لتشتت الأفكار ، وعدم ترك انطباعات سلبية عليهم .

ورأى أن المنهج الدراسي النظامي كان حافلاً بكتب الفلسفة والمنطق الرتيبة الجافة ، وأن الطابع الفلسفي يغلب على كتب النحو ، وأن كتب البلاغة لا تُنشئ في الطالب ذوقاً للأدب ولا تُنمّي فيه مَلَكة البيان . فسعى إلى أن يتم التخلي عن هذه الكتب ، وأن تحل محلها كتب طبيعية بعيدة عن العجمة وجفاف الأسلوب والكلمات النابية المستكرهة ، لا تمتزج بها جدليات اليونان ٥ . وكان يرى بأن علوم التفسير والحديث النبوي لم تنل حقها في المنهج النظامي القديم ، وأن الاهتمام الذي يُركز على تدريس مادتي النحو والصرف لا يركز مثله على تعليم الأدب ، وغيرها من المواد الأخرى ، وأن المنهج القديم كان حافلاً بكتب الفلسفة والمنطق بوفرة، وأن معظم الكتب تشتبك مباحثها بمباحث العلوم الأخرى وتختلط بها ، فمثلاً كتب مثل " حمد الله " و " الميرزاهد " و " الملا حسن قاضي " كلها في

٤ حياة شبلي . ص٧٨ .

٥ مجلة ثقافة الهند ، ص٣١ المجلد ٤٣ ، العدد ٣ ، عام ١٩٩٢م .

المنطق ولكنها مليئة بمسائل الفلسفة ، الأمر الذي يعمل على خلط الحابل بالنابل، ومن ثم يتعقد الأمر على الطالب فيتعسر عليه فهم ذلك . كما أن معظم الكتب المقرّرة ليست مسائلها منقحة حتى تستقر المسائل الأصلية في الأذهان ، وعدم ضمها لكتب المعارف الحديثة ، ناهيك عن تعليم اللغة الإنجليزية ، فكيف يُمكن الحفاظ على الدين الإسلامي وأداء فريضة الدعوة الإسلامية في البلاد وخارجها والردّ على شبهات أعداء الإسلام وإقناع الطبقة المثقفة المتحضرة – على حد زعمها – بإعادة الثقة بالثقافة الإسلامية بدون التسلح باللغة الإنجليزية في هذا العصر [٦] .

كما أنه كان يعتقد بأنه من الضروري تعلم اللغة الهندية والسنسكريتية إلى جانب إللغة الإنجليزية للمسلمين في الهند أيضاً ، لذا أقام في دار العلوم ندوة العلماء قسمي اللغة الهندية والسنسكريتية [٧] وعيّن مدرساً هندوسياً من طبقة البندت (المثقفة) لذلك [٨] ، وكان من أهم أهداف هذا العمل الجريئ الرد على الشبهات والاتهامات الباطلة التي كان ينسبها الآريون إلى الإسلام ، وهذا لم يكن ممكناً بدون إتقانهما بشكل دقيق .

ومن أجل ذلك ، أدخل العلامة شبلي النعماني كتاب " الدروس الأولية في العلوم الطبيعية " التي كانت تعالج مواضيع العلوم الطبيعية الجديدة في المنهج الدراسي في ندوة العلماء ، ليحل محل كتب الفلسفة القديمة لأنه كان يشمل في طيّاته مواضيع مختلفة من الجاذبية الأرضية إلى الكهرباء وما إلى ذلك ، فضلاً عن إدراج مقالة بعنوان " هيئت جديده " باللغة الفارسية. يقول العلامة السيد سليمان الندوي : " لقد كان من أهم أهداف تأسيس دار العلوم ندوة العلماء أيضاً ، إزالة الأجزاء القديمة البالية من كتب المنطق والفلسفة وإدراج العلوم الجديدة من العلوم الطبيعية والفلسفة والرياضيات ، إلا أن المشكلة لم تكن تكمن في عدم معرفة علمائنا القدامى وإلمامهم بتلك العلوم الجديدة فحسب ، بل لأن المتعلمين الجدد لم يكن باستطاعتهم شرح تلك العلوم بالمصطلحات العربية أو الأردوية أو إلقاء محاضرات حولها أيضاً . ولذلك تم إدخال كتاب جديد باللغة العربية طبع من بيروت باسم "الدروس الأولية في العلوم الطبيعية " ومقالة بالفارسية طبعت من القسطنطينية باسم " هيئت جديدة

---

٦ حياة شبلي ، ص٣٩٥ .

٧ حياة شبلي ، ص ٤٢١ .

٨ متعلقات شبلي ، د . إلياس الأعظمي ، ص١٨٨ ، سنة ٢٠١١م .

" في المنهج الدراسي "[٩].

وكان العلامة رحمه الله ، يرى أنه يجب تدريب الطلاب على فن الخطابة ، وتوفير أجواء المنافسة لديهم . وكان يشعر بمرارة عدم توافر هذه الأجواء في المدارس في الهند ، فضلاً عن المؤسسات التعليمية الأخرى في العالم الإسلامي ، الأمر الذي لا يعمل على عدم إتاحة الفرصة للطلبة لتحسين قدراتهم على الخطابة فحسب ، بل يترتب عليه عدم مقدرتهم على إلقاء محاضرة بعنوان ما أمام الحشد العام ، ولذلك لا تتحلى مجموعة المثقفين بصفات الشجاعة واللبرالية والنظرة الثاقبة والبصيرة العالية التي هي زبدة التعليم الحديث "[١٠].

ومن الأهمية بمكان ؛ الإشارة إلى أن العلامة شبلي النعماني لم يكن يعارض تعليم الفتيات إطلاقاً ، بل كان من مؤيدي هذه الحركة ، إلا أنه كان يعارض الأفكار المتمثلة في تخصيص مقرّرات ومناهج تعليمية مخصصة للبنات تختلف عن المنهج التعليمي المخصص للبنين . فقد كان يرى بأن الرجل والمرأة لا يختلفان عن بعضهما البعض فيما يخص حدة الذكاء وحسن استعدادهما لاكتساب العلوم والمعرفة ، وأن المرأة بإمكانها أن تسير جنباً إلى جنب مع الرجل في مجال العلم والبحث والأدب والنقد وكافة الميادين العلمية ، وأن الله لم يخلق المرأة ناقصة حتى يتم إعداد منهج تعليمي خاص بها ، وليس لأنها إمرأة فلا يمكنها دراسة المواد العلمية التي تختص بالرجال ، وكان يرى بأنه يجب تحقيق المساواة بينهما فيما يخص دراستهما للمقرّرات التعليمية ، وإذا ما وقع أي فجوة بينهما فإنه يجب العمل على تقليصها وليس توسيعها . يقول :

> " فيما يخص المنهج التعليمي ، فإنني أعارض أن يكون للمرأة منهج دراسي مختلف ، فهذا خطأ جذري ، وقع فيه الأوربيون أيضاً ، وعلينا أن نسعى إلى تقليص الفجوة المتواجدة بين هذين الجنسين ، وليس العمل على توسيعها ... ولكن يجب إضافة بعض المواد في المناهج المقرّرة للفتيات مثل الأمور المتعلقة بالرضاعة وتربية الأطفال وغيرها "[١١].

٩ حياة شبلي ، ص٤٣٢ .

١٠ العلامة شبلي النعماني ، سفر نامة ، ص ٤٤ ، أكاديمية شبلي ، دار المصنفين، أعظم كره .

١١ مجلة هماري زبان الأسبوعية ، الجزء الثاني ، ٢٢ أبريل – ٧ مايو ٢٠٠٥م ، نيودلهي .

وهكذا ، كان لهذه الإصلاحات أثر جيد على أبناء كافة المدارس الإسلامية وندوة العلماء بالتحديد ، لأنها بدأت تتقبل العلوم العصرية وتركز على العلوم الإسلامية في آن واحد ، فخرج من ساحاتها وعرصاتها رجال أكفاء لا يخافون في الله لومة لائم ، ولا ينبهرون ولا ينخدعون من الأباطيل الجديدة والتصنع الدنيوي الزائف ويضاهيون مثقفي المدارس العصرية بل يفوقونهم في عدد من المجالات لتمسكهم بالتعاليم الإسلامية لأنها عماد العلوم والحياة .

وحتماً غرست هذه الإصلاحات في قلوب أبناء البلاد ضرورة إعادة النظر في المناهج التعليمية الدينية من حين لآخر ، والقيام ببعض الإصلاحات عليها حتى تفي وتساير مدى التغير في ركب الحياة وتساعد أبناءها على التكيف مع كافة الأجواء بدون التعرض لأية أعراض سلبية .

لقد قدّم العلامة شبلي النعماني اقتراحاً تضمن إصلاح المنهج التعليمي القديم ، لأنه نظر فيه نظرة غارقة وتعرّف على النقص المتوافر فيه واكتشف عيوبه ومثالبه ، وأثبت على أنه يحتاج إلى إصلاحات فورية ، لأنه يجب أن يواكب الزمن ويسايره ويكون وفق مقتضيات العصر . ولذلك بدأ بالفعل جهوداً مضنية لوضع منهج دراسي معتدل وفق أفكاره وخواطره ، ومع أنه لم ينجح في تطبيق كافة ما كان يتطلع إليه في دار العلوم لندوة العلماء ، إلا أنه نجح بالفعل في وضع البذرة الأولى لإصلاح المنهج التعليمي في الهند ، وهذا يُعتبر بمثابة إنجاز كبير جداً في هذا المجال .

إننا لا نزال نسمع دويّ ضرورة إصلاح المنهج التعليمي الديني من حين لآخر ، حيث يتم عقد مؤتمرات وندوات لذلك ، ولكنني أرى أنه لا مفرّ لأحد من الإصلاحات التي بدأها العلامة شبلي النعماني ، لأنه لو تم تطبيق كافة الآراء والأفكار التي كان يرغب العلامة في تطبيقها آنذاك لإصلاح المنهج التعليمي الديني في الهند ، لكانت صورة التعليم متغيرة في هذه الأيام . وأعتقد بأن من أهم أسباب تخلف المسلمين في الهند عن ركب الحضارة والتقدم هو استمرارنا في اتباع المناهج القديمة وعدم إدراج الكتب الحديثة والعلوم النافعة التي لا تتعارض مع الدين الحنيف في مقرّراتنا الدراسية .

كما لقيت حركة شبلي النعماني الإصلاحية للتعليم الديني في الهند قبولاً واسعاً على الصعيد العالمي أيضاً ، حيث رشّح رئيس تحرير مجلة

المنار المصرية ، محمد رشيد رضا ، أسماء ثلاثة من أعلام العالم الإسلامي لأجل إعداد المنهج التعليمي في الجامع الأزهر عند بدء حركة إصلاح الجامع سنة ١٨٩٩م ، وهم الشيخ أحمد جان الروسي ، والشيخ أحمد الشنقيطي المغربي ، والشيخ شبلي النعماني الهندي [١٢] .

وخلاصة القول ، هو أن العلامة شبلي النعماني قد فتح أمامنا أبواباً تدعو للتفكير في وقت لم يكن أحد يتجرأ على المساس بالمنهج النظامي القديم في التعليم ، ولكن هذا العمل الجريئ الذي قام به العلامة جدير بكل الثناء والتقدير ، وبذلك فإنه يجب أن يتم المواصلة على ما عهدناه منه، حتى يتسنى لنا التفادي من الوقوع في فخ التخلف ، ومواصلة حياتنا وفق مقتضيات العصر و إلى الإسلام من جديد ، لأن الإسلام يحُثنا على العلم والتعليم ويغرِس في أبناء المسلمين بذور حب المعرفة والتطلع .

وبالفعل لعب العلامة شبلي النعماني دوراً كبيراً في إيقاظ المسلمين من سباتهم العميق وحثهم على غرس بذور العلوم العصرية الحديثة النافعة مع التمسك بالعلوم الإسلامية التليدة ، واتباع الدين الإسلامي القويم حتى يضمن النجاح في الدارين . ولا ننكر فضله في الدفاع عن الإسلام والذود عنه ونشر الدعوة الإسلامية لأنهما من أهم ركائز التعليم الإسلامي وأهداف تعلم واتقان العلوم العصرية . وكان العلامة يدرك بأن لكل زمان مميزات خاصة به ، وعلى العاقل أن يراعي تطور الزمان وتقلب أحواله . فكان بالفعل بمثابة الشمعة التي تضيء للناس الظلام وتذوب هي ليستضيء بنورها الناس . ولسنا من القائلين :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

بل نكتفي بالقول إنه إذا ما بدأنا في تطبيق الأسس والقواعد التي وضعها لنا العلامة شبلي النعماني في اختيار المناهج وإعدادها بكل دقة فإننا سنضمن - إن شاء الله - تخرّج دفعة من أبناء المدارس الإسلامية التي ستسد هذا الفراغ بإذن الله تعالى ونقول :-

حتماً سيبعث الله من يخلُفه إن الله على ذلك لقدير

---

[١٢] حياة شبلي ، ص١٩ .

المصادر والمراجع

بالعربيـــة:-

١. شبلي النعماني علامة الهند الأديب والمؤرخ الناقد الأريب ، الأستاذ/ محمد أكرم الندوي ، دار القلم ، دمشق . ط ١ ، ٢٠٠١م .
٢. ديوان الحماسة ، لأبي تمام ، مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء ، ٢٠١١م .
٣. أبو الحسن علي الندوي ، المسلمون في الهند ، المجمع الإسلامي العلمي ندوة العلماء ، لكناؤ ، ١٩٩٨م .

بالأردوية:-

١. حياة شبلي ، سيد سليمان الندوي ، مجمع دار المصنفين ، أعظم كره ، ١٩٨٨م .
٢. مقالات شبلي ، شبلي النعماني ، مجمع دار المصنفين ، أعظم كره ، ٢٠٠٩م
٣. ياد كار شبلي ، شيخ محمد إكرام ، إدارة الثقافة الإسلامية ، لاهور ١٩٧١م .
٤. ياد رفتكان ، سيد سليمان الندوي ، كراتشي ، ١٩٨٣م .
٥. علامة شبلي كا نظرية تعليم ، د . عبيد الله الفراهي ، أعظم كره ، ١٩٨٨م .
٦. أرمغان شبلي ، د . شاهد نوخيز أعظمي ، أنصار للطباعة والنشر، حيدرآباد ، ٢٠٠٩م .
٧. آفاق كم كشته ، أسد الله خان ، إيدشات ببلي كيشينز ، مومباي ، ٢٠٠٢م .
٨. المودودي ، نعيم صديق ، مركزي مكتبه إسلامي ، دلهي .
٩. رسول كريم كي تعليمي تحريك ، د . محمد مسعود عالم القاسمي ، كوكن ببليكيشينز ، مومباي ، ٢٠٠١م .
١٠. تنقيحات ، مولانا سيد أبو الأعلى مودودي ، مركزي مكتبه إسلامي ببلشرز ، دلهي- ٢٠١٢م .
١١. عرفان شبلي ، كليم صفات إصلاحي ، أصيله بريس ، نئي دلهي، ٢٠١٤م .
١٢. سفر نامة ، العلامة شبلي النعماني ، أكاديمية شبلي ، دار المصنفين ، أعظم كره .
١٣. متعلقات شبلي ، د . إلياس أعظمي ، عام ٢٠١١م .

المجلات:-

١. ثقافة الهند ، المجلد ٤٢ ، العدد٤ ، عام ١٩٩١م .
٢. ثقافة الهند ، المجلد ، ٤٣ ، العدد ٢ ، عام ١٩٩٢م .
٣. البعث الإسلامي ، المجلد ٤٦ ، نوفمبر – ديسمبر ٢٠٠٠م .
٤. نظام القرآن ، المجلد رقم : ١٥ ، العدد ٣ ، ٢٠١٤م .
٥. مجلة همارى زبان الأسبوعية ، الجزء الثاني ، ٢٠٠٥م ، نيودلهي .

الأسلوب البلاغي والنحوي لـ" تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان "

الشيخ محمد إسحق البندوي
الباحث فى الدكتوراة
جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية حيدرآباد الهند

من الأدوات التي يجب توافرها في كتب التفسير هي علوم اللغة العربية ، والبلاغة والبيان ، وهذا من التفسير المحمود الذي لا يخالف روح الشريعة الإسلامية ، لأن القرآن نزل بلغة العرب ، كما قال تعالى : " إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " (١).

والشيخ السعدي – رحمه الله – تناول في تفسيره الأساليب البلاغية والبيانية ، ولكنه لم يكثر منها كسائر المفسرين ، لأن هدفه هو المعنى ، وبيان الهداية في القرآن الكريم ، بالإضافة إلى الإعراب والنحو ، وهذا المبحث اشتمل على ثمانية مطالب ، نبدأها إن شاء الله بالأساليب البلاغية :

الأساليب البلاغية والأسرار البيانية :

والبلاغة : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة ألفاظه (٢) وتشمل البلاغة علم المعاني والبيان والبديع .

وعلم المعاني : يعتمد على أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له .

غايته : تحقيق هدف ديني يرمي إلى معرفة إعجاز كتاب الله ومحاولة الاطلاع على أسرار البلاغة والفصاحة في غير القرآن من كلام العرب (٣) .

---

١ سورة يوسف، الآية: ٢.

٢ البيان في إعجاز القرآن لمحمد السباعي الديب، ص: ١٨، مكتبة محمد علي صبيح، ١٣٨٠هـ، الجامعة الإسلامية ٨٥- ١٩٨٦م،

٣ الموجز في علوم البلاغة: أ ، كمال الديب، ص: ٣، لجنة المطبوعات.

منهج السعدي في تناوله بالأساليب البلاغية والأسرار البيانية :

لقد اشتمل تفسير السعدي – رحمه الله – على كثير من أساليب البلاغة كالتقديم والتأخير والاستفهام لغرض بلاغي والقصر وأساليبه وبلاغة الحرف والكلمات والتوكيد .

أولا : التقديم والتأخير يفيد الحصر والقصر :

من البلاغة في اللغة تقديم الخبر على المبتدأ وتقديم المفعول على الفاعل أو على الفعل لغرض بلاغي ، وليس جزافا أن يشير الشيخ السعدي إلى هذا في تفسيره :

١- عند قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين) (٤) ، يقول : أي نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة ؛ لأن تقديم المعمول يفيد الحصر (٥) حيث قدم هذا المفعول على الفاعل للاختصاص والقصر ، وهو من باب قصر الصفة على الموصوف ، وتقديم السبب "العبادة" على المسبب "الإستعانة" .

٢- في قوله تعالى : (... ونحن له عابدون) (٦) .

يقول : والإخلاص أن يقصد العبد وجه الله وحده ، في تلك الأعمال فتقديم المعمول يؤذن بالحصر (٧) ، فتقديم المعمول وهو الجار والمجرور "له" يفيد الحصر والقصر ، أي حصر وقصر العبادة على الله تعالى وحده لا شريك له . كما أنه أتى باسم الفاعل "عابدون" ليدل على الثبات والاستقرار وليدل على أن ذلك صفة لازمة فيهم لا تتغير (٨) .

٣- في قوله تعالى : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين) (٩) .

يقول: "وعلم من هذا الحصر في الآية الكريمة أن الذين يريدون العلو في الأرض أو الفساد ليس لهم في الدار الآخرة نصيب، ولا لهم منها حظ"(١٠).

٤ سورة الفاتحة، الآية: ٥.

٥ انظر: جامع البيان للطبري: ٥٤/١، دار المعهد، ومفاتيح الغيب للرازي: ٢٥٤/١، دار الكتب العلمية، طهران، ط:٢، والكشاف للزمخشري: ٦١/١، دار المعرفة، وفتح القدير: ٢٢/١، وتيسير الكريم الرحمان: ٢٨/١، وتفسير الشعراوي: ٧٨/١.

٦ سورة البقرة، الآية: ١٣٨.

٧ تيسير الكريم الرحمان: ١٠٢/١.

٨ انظر: روح المعاني: ٣٩٨/١، وتيسير الكريم الرحمان: ١٠٢/١.

٩ سورة القصص، الآية: ٨٣.

١٠ تيسير الكريم الرحمان: ٤٤/٤، وانظر: ٣٧١/٣.

ثانيا : الوجوه والنظائر :

الوجوه : هي اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان ، كلفظ الأمة ، والنظائر كالألفاظ المتواطئة ، وقيل : النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني ، وأخرج سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج فقال : اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة (١١) .

وقد تعرض السعدي لذلك ، ولكن تعرضه كان قليلاً جدا ، وهذا يدل على عدم توسعه في ذلك ، لهدف الاختصار ، وأظنه أتى بمثال واحد فقط .

نموذج من تفسيره على الوجوه والنظائر :

عند تفسيره لقوله تعالى : "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء" (١٢) .

ذكر الشيخ السعدي لمعنى كلمة الاستواء ثلاثة معاني ، وهي كالتالي : استوى : في القرآن ترد على ثلاثة معاني : فتارة لا تعدى بالحرف ، فيكون معناها التمام، كما في قوله عن موسى : " ولما بلغ أشده استوى"[١٣] وتارة تكون بمعنى "علا" و"ارتفع" ، وذلك إذا عديت بـ"على" كقوله تعالى : " الرحمان على العرش استوى"[١٤] ، " لتستووا على ظهوره"[١٥] ، وتارة تكون بمعنى "قصد" كما إذا عديت بـ"إلى" كما في هذه الآية أي لما خلق تعالى الأرض قصد إلى خلق السماوات فسواهن سبع سماوات فخلقها وأحكمها وأتقنها ، وهو بكل شيء عليم[١٦]، وهكذا وجدنا كلمة "استوى" لها معان عدة حسب تعديتها بحرف الجر وهو ما يسمى بالوجوه .

ثالثا : الحذف :

الحذف من الأساليب البلاغية في اللغة يقتضيه السياق أحياناً لغرض بلاغي أو لفهمه من السياق أو لكونه أول الكلام بعد القول أو للتهويل ... وهكذا .

---

١١ الإتقان: ٢٩٩/١، ٣٠٠.

١٢ سورة البقرة، الآية: ٢٩.

١٣ سورة القصص، الآية: ١٤.

١٤ سورة طه، الآية: ٥

١٥ سورة الزخرف، الآية: ١٣.

١٦ انظر: روح المعاني: ٢١٥/١، وفتح القدير: ٦٠/١، وتيسير الكريم الرحمان : ٤٩/١.

ثانيا : الوجوه والنظائر :

الوجوه : هي اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان ، كلفظ الأمة ، والنظائر كالألفاظ المتواطئة ، وقيل : النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني ، وأخرج سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج فقال : اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة (١١) .

وقد تعرض السعدي لذلك ، ولكن تعرضه كان قليلاً جدا ، وهذا يدل على عدم توسعه في ذلك ، لهدف الاختصار ، وأظنه أتى بمثال واحد فقط .

نموذج من تفسيره على الوجوه والنظائر :

عند تفسيره لقوله تعالى : "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء" (١٢) .

ذكر الشيخ السعدي لمعنى كلمة الاستواء ثلاثة معاني ، وهي كالتالي : استوى : في القرآن ترد على ثلاثة معاني : فتارة لا تعدى بالحرف ، فيكون معناها التمام، كما في قوله عن موسى : " ولما بلغ أشده استوى"[١٣] وتارة تكون بمعنى "علا" و"ارتفع" ، وذلك إذا عديت بـ"على" كقوله تعالى : " الرحمان على العرش استوى"[١٤] ، " لتستووا على ظهوره"[١٥] ، وتارة تكون بمعنى "قصد" كما إذا عديت بـ"إلى" كما في هذه الآية أي لما خلق تعالى الأرض قصد إلى خلق السماوات فسواهن سبع سماوات فخلقها وأحكمها وأتقنها ، وهو بكل شيء عليم[١٦]، وهكذا وجدنا كلمة "استوى" لها معان عدة حسب تعديتها بحرف الجر وهو ما يسمى بالوجوه .

ثالثا : الحذف :

الحذف من الأساليب البلاغية في اللغة يقتضيه السياق أحياناً لغرض بلاغي أو لفهمه من السياق أو لكونه أول الكلام بعد القول أو للتهويل ... وهكذا .

---

١١ الإتقان: ٢٩٩/١، ٣٠٠.

١٢ سورة البقرة، الآية: ٢٩.

١٣ سورة القصص، الآية: ١٤.

١٤ سورة طه، الآية: ٥

١٥ سورة الزخرف، الآية: ١٣.

١٦ انظر: روح المعاني: ٢١٥/١، وفتح القدير: ٦٠/١، وتيسير الكريم الرحمان : ٤٩/١.

هذه الحروف ، وقد ذكر السعدي بعض الأمثلة خلال الآيات ليبين هذا المفهوم منها .

نماذج من تفسير السعدي على بلاغة الحروف :

١- عند تفسيره لقوله تعالى : (ومما رزقناهم ينفقون)[٢٤] .

يقول : ولأن النفقة هي قربة إلى الله أتى بـ"من" الدالة على التنصيص لينبههم أنه لم يرد منهم إلا جزءا يسيرا من أموالهم من غير منّ منهم ولا ثقل[٢٥] .

٢- عند تفسيره لقوله تعالى : (أولئك على هدى من ربهم ...)[٢٦] .

يقول: أتى بـ"على" في هذا الموضوع الدالة على الاستعلاء ، وفي الضلالة يأتي بـ"في" كما في قوله : (وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)[٢٧] . لأن صاحب الهدى مستعل بالهدى مرتفع به ، وصاحب الضلال منغمس فيه محتقر[٢٨] .

مما تقدم تبين لنا أن كل حرف في اللغة له معنى خاص به ، وأن هذه الحروف جاءت لتخدم المعنى القرآني ، لا أن المعنى يخدم الألفاظ ، فـ"على" تفيد الاستعلاء ، و"في" تفيد الظرفية .

٣- عند تفسير لقوله تعالى : (وما تفعلوا من خير يعلمه الله ...)[٢٩] .

يقول : أتي بـ"من" للتنصيص على العموم ، فكل خير وقربة وعبادة داخل في ذلك الخير[٣٠] في المثالين السابقين كانت "من" للتبعيض، وفي المثال الأخير جاءت للتنصيص ، وهذا من بلاغة القرآن، حتى إن الحرف الواحد له عدة معان ، وكذلك الألفاظ .

خامسا: بلاغة الكلمات :

١- عند قوله تعالى : (يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين...)[٣١] .

---

٢٤ سورة البقرة، الآية: ٣.

٢٥ انظر: مفاتيح الغيب: ٣١/١، وأضواء البيان: ٣٨/١، وتيسير الكريم الرحمان: ٣٣/١.

٢٦ سورة البقرة، الآية: ٥.

٢٧ سورة سبأ، الآية: ٢٤.

٢٨ انظر: مفاتيح الغيب: ٣٣/١، وتيسير الكريم الرحمان: ٣٤/١.

٢٩ سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

٣٠ تيسير الكريم الرحمان: ١٥٨/١، و٢٣٤/٣.

٣١ سورة القصص، الآية: ٣١.

يقول : وهذا أبلغ ما يكون في التأمين وعدم الخوف ، فإن قوله "أقبل" يقتضي الأمر بإقباله ويجب عليه الامتثال ، ولكنه قد يكون إقباله وهو لم يزل في الأمر المخوف ، فقال "ولا تخف" أمر له بشيئين إقباله وأن لا يكون في قلبه خوف ، ولكن يبقى احتمال وهو أنه قد يقبل وهو غير خائف ، ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فلذلك قال "إنك من الآمنين" فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه[٣٢].

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: (إن الشيطان كان للرحمان عصيا)[٣٣] .

يقول : وفي ذكر إضافة العصيان إلى اسم الرحمان إشارة إلى أن المعاصي تمنع العبد من رحمة الله ، وتغلق عليه أبوابها ، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته [٣٤].

سادسا: خروج الاستفهام عن غرضه :

١- وذلك في قوله تعالى : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون)[٣٥] .

يقول: هذا استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ والإنكار ، أي كيف يحصل منكم الكفر بالله الذي خلقكم من العدم ، وأنعم عليكم بأصناف النعيم ، ثم يميتكم عند استكمال آجالكم ، ويجازيكم في القبور ، ثم يحييكم بعد البعث والنشور ، ثم إليه ترجعون.[٣٦]

فالاستفهام عادة غرضه طلب المعرفة والعلم ، ولكنه أحيانا يخرج عن غرضه الأصلي (الاستفهام) إلى غرض بلاغي ، إما للتعجب أو الإنكار أو التوبيخ أو تقرير الحقائق والمعتقدات .

٢- في قوله تعالى : (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله...) [٣٧] .

يقول : لما أقام فيما تقدم الحجج على أهل الكتاب ، فمع أنهم قبل ذلك يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم ،

٣٢ انظر: المحرر الوجيز: ١٢/ ١٦٥ بنحوه، وروح المعاني: ٧٥/٢، وتيسير الكريم الرحمان: ١٧/٤- ١٨، و٢٣٤/٣.
٣٣ سورة مريم، الآية: ٤٤.
٣٤ تيسير الكريم الرحمان: ٢٠٥/٣.
٣٥ سورة البقرة، الآية: ٢٨.
٣٦ انظر: تيسير الكريم الرحمان: ٤٩/١، روح المعاني: ٢٥٩/١، ٢٧٥/٥.
٣٧ سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

يقول : وهذا أبلغ ما يكون في التأمين وعدم الخوف ، فإن قوله "أقبل" يقتضي الأمر بإقباله ويجب عليه الامتثال ، ولكنه قد يكون إقباله وهو لم يزل في الأمر المخوف ، فقال "ولا تخف" أمر له بشيئين إقباله وأن لا يكون في قلبه خوف ، ولكن يبقى احتمال وهو أنه قد يقبل وهو غير خائف ، ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فلذلك قال "إنك من الآمنين" فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه[٣٢].

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: (إن الشيطان كان للرحمان عصيا)[٣٣] .

يقول : وفي ذكر إضافة العصيان إلى اسم الرحمان إشارة إلى أن المعاصي تمنع العبد من رحمة الله ، وتغلق عليه أبوابها ، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته [٣٤].

سادسا: خروج الاستفهام عن غرضه :

١- وذلك في قوله تعالى : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون)[٣٥] .

يقول: هذا استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ والإنكار ، أي كيف يحصل منكم الكفر بالله الذي خلقكم من العدم ، وأنعم عليكم بأصناف النعيم ، ثم يميتكم عند استكمال آجالكم ، ويجازيكم في القبور ، ثم يحييكم بعد البعث والنشور ، ثم إليه ترجعون [٣٦].

فالاستفهام عادة غرضه طلب المعرفة والعلم ، ولكنه أحيانا يخرج عن غرضه الأصلي (الاستفهام) إلى غرض بلاغي ، إما للتعجب أو الإنكار أو التوبيخ أو تقرير الحقائق والمعتقدات .

٢- في قوله تعالى : (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله...) [٣٧].

يقول : لما أقام فيما تقدم الحجج على أهل الكتاب ، فمع أنهم قبل ذلك يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم ،

---

٣٢ انظر: المحرر الوجيز: ١٢/ ١٦٥ بنحوه، وروح المعاني: ٧٥/٢، وتيسير الكريم الرحمان: ١٧/٤- ١٨، و٢٣٤/٣.

٣٣ سورة مريم، الآية: ٤٤.

٣٤ تيسير الكريم الرحمان: ٢٠٥/٣.

٣٥ سورة البقرة، الآية: ٢٨.

٣٦ انظر: تيسير الكريم الرحمان: ٤٩/١، روح المعاني: ٢٥٩/١، ٢٧٥/٥.

٣٧ سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

نلاحظ في المثال الأول أنه أكد التوجه إلى الكعبة توكيدا و تعظيما للجملة ثلاث مرات ؛ ليدل على أهميتها ، وأنها القبلة الباقية إلى قيام الساعة .

- أما المثال الثاني فالتوكيد فيه معنوي وأكده بـ"كل" و"أجمع" ، فـ"كلهم" تفيد أنه لم يتخلف منهم أحد و"أجمعون" أي فهم سجدوا في وقت واحد وليس واحداً بعد واحد .

- وفي القرآن كثير من التوكيد اللفظي والمعنوي ، فمن اللفظي في الجملة قوله تعالى : (فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا)[٤٥] ، وقوله : (الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين)[٤٦] .

- ومن المعنوي قوله تعالى : (وأتوني بأهلكم أجمعين)[٤٧] ، وقال : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا)[٤٨] .

- وهكذا رأينا الشيخ السعدي وتبحره بعلوم البلاغة من تقديم وتأخير وقصر وحذف بأنواعه ، وتوكيد بأنواعه أيضا ، مما أضاف إلى تفسيره روعة وجلالا ، ولا شك أن هذه العلوم من أدوات المفسر التي يجب أن يتصف بها .

ثامنا : النحو والإعراب :

قاعدة النحو قاعدة أساسية لأن المعنى يتوقف عليها ولا غنى للمفسر عنها ، ولأهميتها جعلت ضابطاً من ضوابط قبول القراءة الصحيحة .

يقول السيوطي : ومن فوائد هذا النوع معرفة المعنى ، لأن الإعراب يميز المعاني ، ويوقف على أغراض المتكلمين[٤٩] ، وهو العلم الذي يتوقف عليه توجيه القراءات ، وبالتالي يختلف المعنى تبعا لاختلاف الحركات ، وهذا من إعجاز القرآن ليكون شاملا لكل شيئ ، بالإضافة أيضا إلى تعدد الأحكام الشرعية طبقا لتعدد وجوه الإعراب ، ومن خلال دراستنا لتفسير السعدي وجدناه يكثر من

---

٤٥ سورة العصر، الآيات: ٥- ٦.

٤٦ سورة الأعراف، الآية: ٩٢.

٤٧ سورة يوسف، الآية: ٩٣.

٤٨ سورة يونس، الآية: ٩٩.

٤٩ الإتقان: ٣٨٢/١، وانظر: إملاء ما من به الرحمن للعكبري ت: ٦١٦هـ: ١:٣-، دار الكتب العلمية، ط:١، ١٣٩٩هـ.

الحديث عن القضايا النحوية ، وهي كالآتي :

أولا : عود الضمائر :

عادة يكون الضمير عائداً على أقرب مذكور ، ولكن قد يوجد عدة أسماء مذكورة ، ثم يأتي الضمير فيحتمل عوده على أحدهما ، ومن الأمثلة على ذلك :

١- عند تفسيره لقوله تعالى: (ومن ذريته داود)[٥٠].

يقول : "ومن ذريته" يحتمل أن الضمير عائد إلى نوح ، لأنه أقرب مذكور لأن الله ذكره مع من ذكر لوطا وهو من ذرية نوح ، لا من ذرية إبراهيم ، لأن لوطا ابن أخيه ، ويحتمل أن الضمير يعود إلى إبراهيم ، لأن السياق في مدحه والثناء عليه ، ولوط – وإن لم يكن من ذريته – فإنه ممن آمن على يده[٥١] .

ويقول الباحث : إن الضمير – والله أعلم – يعود على إبراهيم لأن السياق يتحدث عنه أولا .

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: (فلا تظلموا فيهن أنفسكم)[٥٢] .

يقول : يحتمل أن الضمير يعود إلى الاثني عشر شهرا ، وأن الله بين أنه جعلها مقادير للعباد ، وأن تعمر بطاعته ، وشكر الله تعالى على نعمته بها وتقيضها لصالح العباد ، فلتحذروا من ظلم أنفسكم فيها ، ويحتمل أن الضمير يعود إلى الأربعة الحرم ، وأن هذا نهي لهم عن الظلم فيها ، خصوصا مع النهي في كل وقت لزيادة تحريمها ، ولكون الظلم فيها أشد منه في غيرها[٥٣] .

ثانيا : الحال :

هي بيان حال الفعل حين حدوثه ، والحال قد تكون كلمة ، أو جملة اسمية أو فعلية ، وقد تكون حرفا إذا أتى الحرف مع جملة اسمية أو فعلية ، قد تحدث عن معظم هذه الحالات ، وهذه نماذج منها:

الحال لفظ مفرد :

---

٥٠ سورة الأنعام، الآية: ٨٣.

٥١ تيسير الكريم الرحمان: ٤٧/٢، انظر إملاء ما من به الرحمان: ٢٥١/١.

٥٢ سورة التوبة، الآية: ٣٦.

٥٣ المصدر نفسه: ٢٧٣/٢، انظر: الإملاء :١٤/٢- ١٥، وإعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش: ٩٧/٤، اليمامة، دار ابن كثير، ط:٤، ١٤١٥هـ.

١- في تفسيره لقوله تعالى : (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) [٥٤].

بقوله : ويحتمل أن "كافة" حال من "الواو" ، فيكون معنى هذا : وقاتلوا جميعكم المشركين فيكون فيها وجوب النفير على جميع المؤمنين ، وقد نسخت بهذا الاحتمال ، يقول : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة...)[٥٥] [٥٦]أي أن الحال تغير الحكم أحيانا حسب موقعها في الجملة ، وأتت الحال كلمة .

٤- في قوله تعالى : (والمرسلات عرفا) [٥٧] .

يقول : و"عرفا" حال من المرسلات ، أي أرسلت بالعرف والحكمة [٥٨] ، فالحال هنا كلمة واحدة .

الحال جملة اسمية :

٢- في قوله تعالى : (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو...) [٥٩].

يقول : وجملة "بعضكم لبعض عدو" في موضع نصب على الحال من الضمير الذي هو الواو ، في "اهبطوا" [٦٠] ، وهذه الحال جاءت جملة اسمية .

الحال جملة فعلية:

٣- في قوله تعالى: (ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) [٦١] .

يقول : والحال "ما آمن معه إلا قليل" [٦٢] ، قالوا و واو الحال والجملة الفعلية في محل نصب على الحال .

ثالثا : وظيفة الحرف في الجملة القرآنية :

للحرف وظيفة يؤديها إذا كان في جملة أو لوحده فليس له معنى فقد تكون اللام للجر وتكون للتعليل أو السببية وتكون للأمر،

---

٥٤ سورة التوبة، الآية: ٣٦.

٥٥ نفس السورة، الآية: ١٢٢.

٥٦ تيسير الكريم الرحمان: ٢٧٣/٢، انظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٩٧/٤، والإملاء :١٥/١.

٥٧ سورة المرسلات، الآية: ١.

٥٨ تيسير الكريم الرحمان: ٣٤٥/٥، وانظر إملاء ما من به الرحمان: ٢٧٧/١.

٥٩ سورة الأعراف، الآية: ٢٤.

٦٠ تيسير الكريم الرحمان: ١١٨/٢، وروح المعاني: ٢٣٦/١.

٦١ سورة هود، الآية: ٤٠.

٦٢ تيسير الكريم الرحمان: ٤١٠/٢.

وتكون للعاقبة وتكون للتوكيد ، والسعدي قد تطرق لبعض هذه الصور في تفسيره منها :

١- في قوله تعالى: (وليقولوا درست) [٦٣].

يقول : وليقولوا درست" علة لفعل قد حذف ، تعويلا على دلالة السياق عليه ، أي وليقولوا : درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور ، واللام للعاقبة والصيرورة ، والواو اعتراضية أي : لتصير عاقبة أمرهم إلى أن يقولوا درست ، وهو كقوله تعالى : (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) [٦٤] ، وهم لم يلتقطوه للعداوة ، وإنما التقطوه ليصير لهم قرة عين ، ولكن صارت عاقبة أمرهم إلى العداوة [٦٥].

٢- في قوله تعالى: (والسماء وما بناها) [٦٦] .

يقول : يحتمل أن "ما" موصولة فيكون القسم بالسماء وبانيها وهو الله تعالى ، ويحتمل أنها مصدرية فيكون القسم بالسماء وبنيانها الذي هو ما يقدر من الإحكام والإتقان والإحسان [٦٧] .

- أي أن "ما" قد تكون بمعنى الذي ، فيكون المعنى والسماء والذي بناها ، وقد تكون مصدرية فيكون المعنى والسماء وبنيانها ، وقد تكون "ما" نافية لا تؤثر على الجملة ، وقد تكون ناسخة تعمل على "ليس" [٦٨] ، ترفع المبتدأ وتنصب الخبر .

٣- واو القسم في قوله تعالى : (والليل إذا يغشى) [٦٩] ، (إن سعيكم لشتى) [٧٠]

يقول : هذا قسم من الله تعالى ، بالزمان الذي تقع فيه أفعال العباد على تفاوت أعمالهم ، وقوله (إن سعيكم لشتى) هذا هو المقسم

---

٦٣ سورة الأنعام، الآية: ١٠٥.

٦٤ سورة القصص، الآية: ٨.

٦٥ انظر: إملاء: ٢٥/١، وتفسير البيضاوي: ٣٢٥/١، وتيسير الكريم الرحمان: ٦٤/٢.

٦٦ سورة الشمس، الآية: ٥.

٦٧ انظر: تفسير البيضاوي: ٣٢٥/١، وتيسير الكريم الرحمان: ٤٠٦/٥- ٤٠٨، وإملاء: ٢٥٦/١.

٦٨ لقوله تعالى: (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢، قوله: (ما هن أمهاتهم)، سورة المجادلة، الآية: ٢.

٦٩ سورة الليل، الآية: ١.

٧٠ نفس السورة، الآية: ٤.

عليه[٧١] ، أو جواب القسم .

رابعا : نماذج متفرقة من علم النحو والإعراب :

١- عند تفسيره لقوله تعالى: (ويتبع غير سبيل المؤمنين)[٧٢] .

يقول : وسبيل المؤمنين مفرد مضاف يشمل سائر المؤمنين بالعقائد والأعمال ، فإذا اتفقوا على إيجاب شيء ، أو استيجابه أو تحريمه أو كراهيته أو إباحته ، فهذا سبيلهم ، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد إجماعهم عليه ، فقد اتبع غير سبيلهم[٧٣] .

٢- في قوله تعالى : (أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل) [٧٤] .

يقول : وهذا النوع من باب استعمال أفعل التفضيل في غير بابه[٧٥]، ويقصد بذلك أن أفعل التفضيل يأتي على وزن "أفعل" غير أن "خير وشر" خرجتا عن القاعدة ، والقياس أن يقال : أخير وأشر[٧٦] ، ولكن جاءتا مضافتين بدل أفعل التفضيل .

٣- في قوله تعالى : (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) [٧٧].

يقول: أي لا يقدرون نكاحا إما لفقرهم أو فقر أوليائهم وأسيادهم أو امتناعهم عن تزوجهم ، وليس لهم قدرة على إجبارهم على ذلك ، وهذا التقدير أحسن من تقدير من قدر: لا يجدون مهر نكاح ، وجعلوا المضاف إليه نائبا مناب المضاف ، فإن في ذلك محذورين : أحدهما: الحذف في الكلام ، والأصل عدم الحذف ، والثاني : كون المعنى قاصرا على من له حالتان ، حالة غني بماله ، وحالة عدم ، فيخرج العبيد والإماء ، ومن إنكاحه على وليه كما ذكرنا(٧٨) أي أن اختلاف التقدير في المعنى يؤدي إلى اختلاف الإعراب وموقعه .

---

٧١ تيسير الكريم الرحمان: ٤٠٨/٥، والتفسير المنير: ٢٥٦/٣٠- ٢٥٧.
٧٢ سورة النساء، الآية: ١١٥.
٧٣ تيسير الكريم الرحمان: ٤٠٩/٢، والتفسير المنير: ٢٦٨/٣٠.
٧٤ سورة المائدة، الآية: ٦٠.
٧٥ انظر: تفسير البيضاوي: ٢٨٢/١، وتيسير الكريم الرحمان: ٤٩٩/٢.
٧٦ تيسير الكريم الرحمان: ٤٩٩/٢، وتفسير البيضاوي: ٢٨٢/١.
٧٧ سورة النور، الآية: ٣٣.
٧٨ تيسير الكريم الرحمان: ٣٩٩/٢.

الاحتكاك بين العرب والغرب
الأسباب والنتائج

الباحث شهنواز أحمد
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة علي كره الإسلامية، علي كره، الهند

يبدأ العصر الحديث للأدب العربي في مصر - بل للتاريخ المصري كله - بتلك السنوات التي شهدت خروج البلاد من تخلفات العصر التركي ، لتفتح عيونها على نور الحضارة الحديثة ، ولتأخذ طريقها في موكب المدنية المتقدمة . وذلك بعد أن أغمضت عيونها عن النور وعوقت خطاها من السير زهاء ثلاثة قرون ، هي مدة الحكم التركي الكريه . ومن الممكن تحديد تلك البداية بسنوات الحملة الفرنسية(من سنة ١٧٩٨م إلى ١٨٠١م) أي بأواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر .

وليس ذلك باعتبار الحملة الفرنسية خيراً أسدى إلى مصر ، بل باعتبارها عملاً عدوانياً مدبراً ، أثار في مصر ما كمن من عناصر القوة، فقد اتخذت الحملة الفرنسية من العلم أسلحة ضمن أسلحتها ، ومن العلماء جندا في عداد جندها .

ومن هناك رأى المصريون في تلك الحملة علماً غير ما يعرفون ، وعلماء غير ما يعهدون ، وأدركوا خطورة ذلك كله عليهم إن لم يكن لهم مثله ، فتطلعوا إلى نور الحضارة الحديثة وبدءوا التأهب للسير في موكب المدنية المتقدمة ، وهكذا كانت تلك الحملة تنبيهاً غير مقصود لعناصر القوة في الشعب المصري العظيم تماماً ، كما تنبه عناصر المقاومة في جسم الكائن الحي ، حين يتسلل إلى دمه المكروب يريد أن يفتك به ، فيتسلح الجسد بما فيه من قوى كامنة .

ويقاوم بما احتفظ به من حيوية محجبة وحينئذ قد يكسب مناعة أقوى من الزمن وصحة أتم على الأيام .

وقد تعاقبت السنون منذ تلك البداية إلى عهدنا الحاضر ، ومر الأدب - والتاريخ المصري كله - بفترات مختلفة ، لكل منها طابع خاص على أن هذه الفترة الحاسمة يمكن أن نسميها فترة لقاح الحضارات وملتقى الثقافات المختلفة ، كل منها اكتسبت من غيرها من الأقدار والقيم والآداب والفنون وأفادتها فيما ترتقي به الحياة وخاصة استورد الأدب العربي في هذه الفترة عن الآداب الأجنبية ما لا تسعه هذه العجالة إلا أننا اجتهدنا أن نجمل فيها على نتاج هذا اللقاح والاحتكاك الثقافي الذي شهده العالم الإسلامي ، وبالتالي مصر ، وما أثر في الآداب العربية .

وإذا تأملنا الفترة التي نعيشها اليوم ، وقارناها بما نعرف من تاريخ الفترات السابقة ، وجدنا الاختلاف يصل أحيانا إلى درجة التباين أو التناقض وخاصة إذا كانت المقارنة بين اليوم والأمس البعيد ، وهذا من شأنه أن يثير تساؤلا معقولا ، وهو : كيف يمكن أن يندرج مثل هذا التاريخ الطويل المختلف الفترات تحت عصر واحد ؟ وكيف يمكن مثلا أن يسمى كل من نتاج أوائل القرن التاسع عشر ونتاج الثلث الأخير من القرن العشرين "بالأدب الحديث" مع ما بينهما من خلاف ليس أقل من الخلاف بين القديم والحديث ؟

والجواب أن القديم والحديث من الأمور النسبية ، فما هو حديث اليوم ، سوف يكون قديماً في الغد ، وما هو قديم اليوم ، قد كان حديثاً بالأمس وكل ما في الأمر أن تاريخنا الأدبي مرتبط بتاريخنا السياسي .

أهم أسباب الاحتكاك :

أسلحة علمية للحملة الفرنسية:- كانت الحملة الفرنسية ترمي إلى تكوين إمبراطورية شرقية قوية مستقرة ، لذلك اتخذت العلم سلاحاً ضمن أسلحتها ، وحشدت العلماء جنداً ضمن جنودها . وكان من مظاهر ذلك أن أنشأ العلماء الفرنسيون المصاحبون للحملة في

مصر، مراكز للأبحاث الرياضية ومراصد فلكية ومعامل كيمياوية، كما أنشأوا بعض المصانع ومعملا للورق ، ثم مجمعاً علمياً لدراسة أحوال مصر الطبيعية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والثقافية ، وكان ذلك أساساً لإمداد الحكومة الفرنسية بالمعلومات والتوجيهات والإحصاءات والخرائط ، ولتأكيد الوجود الفرنسي في مصر وإقامته على دعائم من العلم والخبرة ، كذلك أقام الفرنسيون مطبعة عربية وأصدروا صحيفتين فرنسيتين ونشروهما باللغة العربية ، كما أقاموا أيضا مسرحا للتمثيل، كانوا يقدمون فيه رواية فرنسية كل عشر ليال ، وفتحوا مدرستين لتعليم أبناء الفرنسيين ، ومكتبة عامة جمعوا فيها ما حملوه معهم من كتب وماجمعوه من مساجد مصر وأضرحتها ، وكانوا يدعون بعض المصريين إلى مشاهدة ما بها من كتب ، كما كانوا يدعونهم إلى مشاهدة بعض تجاربهم العلمية ، وذلك لتأليف قلوبهم وإيهامهم بأنهم جاؤا لتحضيرهم والنهوض بهم .

ولعل مما يرتبط بهذه المظاهر ، تشكيلهم للديوان ، الذي كان يضم تسعة أعضاء من علماء الأزهر ، وذلك للعمل على استتباب الأمن والتظاهر بأن الشعب يشارك في حكم نفسه .

ويلاحظ أولاً أن أغلب تلك المظاهر الثقافية متصل بالعلم العملي ، كما يلاحظ ثانياً أن جميعها جاءت في صورة عدوانية ضمن الحملة الفرنسية الغازية ، ومن هناك لم يكن لها تأثير فعلي في وصل المصريين بالثقافة الأوربية ، وبخاصة الثقافة الأدبية وإنما اقتصر تأثير كل هذه المظاهر على الإثارة أو الإيقاظ ، حتى أحس البعض بوجوب التغيير وتطلع إلى التسلح بوسائل أفضل .

الاتصال الفعلي لاحتكاك العرب بالثقافة الغربية الحديثة:-

كان محمد علي جندياً ألبانياً مغامراً قد جاء إلى مصر ضمن الحملة التركية التي اشتركت في إخراج الفرنسيين سنة ١٨٠١م . وقد امتدت أطماعه إلى الاستقلال بمصر أولا ، وتأسيس إمبراطورية

كبيرة ثانيا ، واستطاع بدهائه ومكره أن يخدع القوى الشعبية التي ظهرت قوتها أثناء مقاومة الفرنسيين ، حتى ولته تلك القوى حاكما على البلاد سنة١٨٠٥م وما لبث أن خان تلك القوى ، فاضطهد زعماؤها وعلى رأسهم السيد عمر مكرم ، كما غدر بالمماليك فنكل بهم في مذبحة القلعة . ورأى أن الحاجة ماسة إلى قوة مسلحة تخمد القوى الشعبية التي يدين لها بعرشه ، وترهب بقايا المماليك الذين ينازعون سلطانه ، كما تحميه من تركيا التي تملك عزله ، وانجلترا التي تهدد أطماعه .

فعمد إلى إنشاء جيش قوي ، وعمل كل ما من شأنه أن يحيط هذا الجيش بأسباب القوة فأنشأ مدرسة حربية ثم مدرسة للطب ليقوم أبناؤها بعلاج الجيش ، ثم أنشأ مدرسة للصيدلة وأخرى للطب البيطري وأخرى للهندسة ، كما أنشأ عددا من المدارس الابتدائية والتجهيزية .

وقد استقدم محمد علي – أول الأمر - الأساتذة الأجانب للتدريس في المدارس المختلفة ، ونظراً لعدم معرفة هؤلاء بلغة البلاد أو معرفة التلاميذ بلغتهم فقد استعان بالمترجمين من السوريين والمغاربة وغيرهم .

البعثات والرحلات:-

أرسل محمد علي البعثات إلى أوربا ، ليقوم أبناؤها فيما بعد بمطالب الجيش وللتدريس في تلك المدارس التي هي في خدمة الجيش . وقد تعددت البعثات وتنوعت بين هندسية وطبيعية وزراعية وصيدلية وقانونية وسياسية وكيماوية ، كما كان منها بعثات للتخصص في الطباعة والحفر والميكانيكا وما إلى ذلك من علوم تجريبية .

وهكذا كان أول لقاء عملي بين المصريين والثقافة الغربية في العصر الحديث ، وقد أنتج هذا اللقاء ثماراً طيبة ، فقد عاد هؤلاء المبعوثون بعلم جديد وعقلية جديدة إلى بلادهم ، فعلموا في المدارس وعملوا في المصالح وترجموا وألفوا وخططوا ، وبهذا وضعوا أساس الحركة الثقافية والأدبية الحديثة ، كما بدءوا تطوير اللغة بما

ترجموا إليها من علوم حديثة، وبما أمدوها به من مصطلحات جديدة ، ثم عبروا عنه من أفكار وموضوعات منوعة أكثرها يتصل بالحياة ، ويرتبط بموكب الثقافة الإنسانية المتطورة ، وكان من أجلّ مظاهر ذلك مدرسة الألسن التي اقترح إنشاءها رفاعة الطهطاوي وعهد إليه بإدارتها وكانت تعنى بدراسة اللغات الفرنسية والإيطالية والتركية والفارسية ، إلى جانب آداب اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والشريعة الإسلامية والشرائع الأجنبية .

وهناك ملاحظات على تلك الحركة الثقافية التى كانت في عهد محمد علي ، منها أنها دارت – قبل كل شيئ- حول الجيش ولم تتجه أساساً إلى إضاءة الحياة المدنية ، ومنها أنها عنيت أولا بأبناء الأتراك والمماليك وكان حظ أبناء الشعب منها ضئيلا ، ومنها أنها اهتمت – أكثر ما اهتمت- بالجوانب العملية والمادية ولم تعط إلا القليل للجوانب النظرية والأدبية .

ولهذا كله لم يكن تأثير تلك الحركة الثقافية على الحياة الفكرية والأدبية قوياً ، وأهم الثمار التي جنيت من هذه الحركة الثقافية هي ظهور جماعة من المثقفين المصريين ، الذين نهلوا من ثقافة الغرب وعرفوا لغته وبعض أدبه ، أصبحوا يمثلون – آخر الأمر- لوناً جديداً إلى جانب اللون التقليدي الممثل في علماء الأزهر حينذاك . وهولاء المثقفون الجدد سيقومون هم وتلاميذهم بريادة التيار الثقافي الجديد والتبشير بحياة أدبية جديدة ، رغم ما حدث من تعويق وانتكاس في عهدي عباس وسعيد على ما سبقت الإشارة إليه .

وربما كان من ثمار تلك الحركة كذلك ، انتعاش اللغة العربية بعض الانتعاش ، وتجددها بعض التجدد ، وذلك لأنها أصبحت لغة العلوم الحديثة ولغة الصحافة الجديدة ووسيلة الأفكار والنظم الوافدة ، فاتسعت للمصطلحات العلمية والفنية ومالت أكثر إلى الموضوعية وتخلصت نوعاً من الركاكة والتكلف ، وربما كانت تلك بداية اللغة العربية الحديثة المتطورة .

محاولات التجديد:-

أما الأدب فقد ظل – في جملته- على ما كان عليه من قبل ، فكان أبرز الأدباء طائفة من الشيوخ ذوي الثقافة التقليدية وممن عاشوا على التراث الأدبي المتصل بالعهد التركي ولم يظهر من بين أصحاب الثقافة الحديثة من يمثلون اتجاها مقابلا في الأدب للاتجاه القديم ، كما حدث في العلم لأن التحول كان تحولاً علمياً ، لم يمس الحياة الأدبية مساً واضحاً ، ومع ذلك فقد ظهر في كتابات قلة من ذوي الثقافة الجديدة بعض لمحات تجديدية جديرة بالتسجيل في الشعر والنثر على السواء ، وهذا تفصيل القول في كل من الفنين الأدبين .

الشعر:-

كان أكثر الشعر من هذا اللون التقليدي المتخلف الردي الذي يستر هذاله وتهافته بألوان من المهارة اللفظية والحيل اللغوية والمحسنات البديعية المتكلفة .

بل الشعر في هذه الفترة كان أقل قريب من روح الشعر ، لكن ظهرت أوائل سمات التجديد في الشعراء الذين تأثروا بالثقافة الغربية فأضافوا إلى ثقافتهم العربية ثقافة أجنبية ، فقد نظم رفاعة الطهطاوي بعض الأشعار الوطنية ، كما نظم بعض الأناشيد الحماسية ، كذلك نظم صالح مجدي – تلميذ رفاعة- طائفة من الأناشيد التي نراها في نهاية ديوانه ، وكل من الشعر الوطني وشعر الأناشيد ، ذو طابع تجديدي واضح على الأقل إذا قيس بما كان من طابع الشعر في تلك الفترة ، وذلك أن الشعر الوطني وشعر الأناشيد الحماسية فيه حديث عن الوطن بهذا المفهوم السياسي والحضاري الجديد ، وفيه كذلك تمجيد لهذا الوطن والحث على افتدائه وبذل كل شيئ في سبيله... ثم إن الأناشيد بخاصة فيها – إلى جانب تمجيد الجيش- تلوين في موسيقى الشعر ، من حيث تنويع الوزن وتعديد القافية ورعاية تنافس خاص بين الأجزاء واختيار إيقاع ملائم ، يناسب الإنشاد الجماعي أو يساير خطوات الجند ومن إليهم ، وكل هذا جديد .

وأغلب الظن أن رفاعة – رائد هذا الشعر الوطني ورائد فن النشيد بصفة خاصة- قد تأثر بما قرأ وسمع من شعر فرنسي وربما تأثر في هذا الباب بالذات ، بنشيد المارسيليز – نشيد الثورة الفرنسية المفروف- الذي ترجمه رفاعة ضمن ما ترجم من آثار الفكر الفرنسي. وأغلب الظن كذلك أن رفاعة كان على معرفة ببعض نماذج الموشحات التي من خصائصها تنوع الأوزان والقوافي ، وقد استطاع رفاعة بذكائه أن يطوع هذا القالب الغنائي الأندلسي لمضمونات وطنية وحماسية فكانت بواكيره الأناشيد في الأدب الحديث .

وخلاصة القول في شعر تلك الفترة إذن أن الطابع العام كان الطابع التقليدي المتخلف الردئي، الذي منه نماذج تعمد إلى الألاعيب والمحسنات كأكثر نماذج الشيخ الدرويش والشيخ الشهاب ، ومنه نماذج تنجو من الألاعيب والمحسنات ولكن تتورط في السطحية والاهتزاز والفتور ، وبالإضافة إلى هذا الطابع العام كانت توجد نماذج قليلة أقرب إلى روح الشعر ، كبعض نماذج الشيخ العطار ثم كانت توجد نماذج أقل تحمل بواكير التجديد ، كوطنيات الطهطاوي وأناشيده وكأناشيد تلميذه صالح مجدي . فهذه الفترة على طابعها التقليدي المتخلف الردئي ، قد حوكت في آخرها بذور التجديد الشعري الذي سيتضح في الفترة التالية .

النثر:-

أما النثر فقد كان معظمه كالشعر في عمومه ، من حيث التقليدية المتخلفة . فهو غالباً يعبر عن موضوعات ساذجة يتوقع في الرسائل والمقامات ونحوها من الأنواع التقليدية ، ثم هو يتستر بالمحسنات ولايسلم كثيراً من التهافت ، على أن بعض النثر قد خطا خطوة أبعد من تلك الأغراض الساذجة ، كما تحرر بعض الشيئ من التهافت والمحسنات وأصبح يحمل فراراً فكريا حينا وتجارب إنسانية حيناً آخر ، ويحاول أن يأخذ شكلاً جديداً غير شكل الرسالة والمقامة وما إليهما وكان باكورة ذلك الكتاب "تلخيص الإبريز في

تلخيص باريز" لرفاعة الطهطاوي . هذا الكتاب الذي تحدث فيه رفاعة عن رحلته إلى باريس ، ووصف كثيراً من انطباعاته ومشاهداته ، كما نقل عديداً من المعارف والنظم والقوانين التي أعجب بها في فرنسا .

ورغم أن الكتاب قد جاء مزيجاً من خصائص كتب الرحلات والكتب العلمية والتقارير الرسمية ، مع خلو تام من كل عنصر روائي، فإن بعض الباحثين يعتبره البذور الأولى للرواية التعليمية في الأدب الحديث ، وذلك لتقديمه ما قدم من معارف من خلال رحلته ثم لتمهيده لأعمال جاءت بعد ذلك فيها الهدف التعليمي وفيها كثير من العناصر الروائية .

والكتاب بعد ذلك ذو قيمة كبيرة من الناحية الفكرية ، فهو صورة الاحتكاك عقلية أزهرية مستنيرة بالحضارة الأوربية وهو كذلك صورة لجراءة مثقف مصري في وصف قيم ديمقراطية وأنظمة دستورية رآها في فرنسا ، وأعجب بها وأعلن هذا الإعجاب في بيئة كانت تحكم في تلك الآونة حكما استبدادياً غاشماً .

على أن لرفاعة عملا آخر أكثر أهمية في هذه الناحية من ذلك الكتاب ، هذا العمل هو ترجمته "المغامرات تليماك" Les Aventues de Telemaque التي كتبها القس الفرنسي فينيلون Fenelon وقد سمى رفاعة الترجمة "مواقع الأفلاك في وقائع تليماك".

ولعل الأدب العربي الحديث لم يعرف ترجمة لرواية فرنسية قبل ترجمة رفاعة لتلك الرواية ، وهكذا تأتي أهمية تلك الترجمة أولاً من حيث إنها أول مظهر من مظاهر النشاط الروائي في مصر خلال العصر الحديث ، ثم تأتي أهميتها ثانياً من حيث ما اشتملت عليه من نقد لاستبداد عباس الأول ، ومن دعوة محجبة للمصريين إلى التآزر والاتحاد للمقاومة والإخلاص ثم تقديم بعض قيم الديمقراطية ومبادئ الحرية ، وأخيراً هناك ظاهرة جديرة بالتسجيل تتعلق بالأدب في تلك الحقبة وهي الالتفات من بعض الكتاب إلى موضوع الوطن والوطنية بالمفهوم الحديث تقريباً .

وهكذا نرى أن رفاعة الطهطاوي يعتبر واضع بذور التجديد في الأدب المصري الحديث ، فأدبه يمثل دور الانتقال من النماذج المتحجرة التي تحمل غالباً عن العصر التركي إلى النماذج المجددة التي تحمل نسمات العصر الحديث .

بدأت النهضة من جديد في العالم العربي في أواخر القرن التاسع عشر ، وهذه النهضة تعتمد على قاعدتين عريضتين ، وهما: الأولى الاتصال بالحضارة الأوربية المزدهرة ، والثانية الاتصال بالتراث العربي في عهود قوته . وقد تم الاتصال بهاتين القاعدتين عن طريق وسائل أو عوامل عشرة ، هي التعليم والبعوث والرحلات والترجمة والطباعة والمكتبات والصحافة والجماعة الأدبية والمجامع اللغوية والمستشرقون والمسرح والإذاعة . فكثر المفكرون ودعاة القومية وزعماء الوطنية وتعددت الثورات ضد الاستبداد والطغيان السياسي وبدأت مصر تعنى بإحياء التراث الأدبي القديم وذاعت الصحافة وكثرت المطابع وبدأت الثقافة الغربية تفد على عواصم العالم العربي وتغزو معاهده و جامعاته من طريق أعضاء البعثات الموفدة إلى أوربا والمدارس الأوربية التي أنشئت في كثير من المدن والعواصم العربية وعن طريق الاختلاط بين العرب والأوربيين في كل مكان . وكان لذلك صداه البعيد وأثره القوي على الأدب فأخذ الأدب يتحرر من الضعف والمبالغة والكذب ومن العي واللكنة ومن الصور الباهتة والعواطف الزائفة ومن كل ما يتنافى مع الفطرة والطبع والموهبة الأدبية الصادقة وهجر الناس السجع المتكلف والزخارف اللفظية .

وظهر الأدب القومي والأدب الوطني **والأدب الثوري** ونشأ فن القصة التاريخية وتنوعت ضروب الأدب فبعد **أن كانت السمة الغنائية** عليه ، تنوع إلى أدب قصصي وتمثيلي وغنائي **وظهرت المسرحية** الشعرية قوية رائعة على يد شوقي وأبي شادي وعزيز أباظة **وأضرابهم** ونبغ في فن الخطابة السياسية والقضائية والبرلمانية وذاع أدب المحاضرة

والمناظرة وازدهر أدب الطبيعة .

وبعد أن كان الاتجاه الكلاسيكي سائداً في الأدب ظهرت النزعة الرومانسية التي حملت لواءها مدرسة أبولو ثم ظهر الاتجاه الواقعي والسريالي والرمزي في الأدب شعره ونثره .

نستطيع أن نرى أثر هذا الاحتكاك الأدبي في النثر العربي فيما يلي:

- اتساع مجالاته وتنوع موضوعاته ، حتى يصبح يعبر عن حياة المجتمع وقضاياه السياسية والاجتماعية .
- اختفاء الفنون القديمة كالرسائل والمقامات .
- ظهور الفنون الجديدة كالمقالة والقصة والمسرحية .
- ميله إلى التحليل والبسط .
- تجديد الأفكار والصور والأساليب .
- التخلص من قيود الصنعة والمحسنات البديعية والميل إلى الأسلوب المرسل المتحرر .
- سلامة اللغة مع الاتجاه إلى السهولة واليسر .

واتجه الأدب إلى البساطة وإلى نبذ كل القيود ونشأت من ذلك مذاهب أخرى ومنها الدعوة إلى العامية في الأدب وإلى الشعر الحر والشعر المرسل ، ولقد انحرف دعاة الواقعية في الأدب فتركوا البلاغة العربية في صورها الرائعة جملة ، وأخذوا يهندون بألوان من التعابير العامية التى ندعو إلى نبذها لأنها لا ترجع إلى الجمال ولا إلى الأصالة ولا إلى دعوة القومية التي يهتف بها العرب في كل مكان .

وملخص القول أن كل شئ في أدبنا العربي يكون مظهراً لتقليد أدبي قديم ، أصبح أدباؤنا يدعون إلى التحرر منه ، فعمود الشعر العربي عندهم خطأ قديم .

أدبنا اليوم أصبح لا يمثل حياتنا ولا هو يمثل ثقافة أو حضارة خاصة بنا ولا يمثل في قليل ولا في كثير شيئا من خصائصنا الأصلية المتميزة إلا في القليل الأقل منه ، وعند القليل الأقل من أدبائنا ، هذا

القليل الذي ينصرف شبابنا والمتأدبون منا عن القراءة له بدعوى أنه أدب قديم رجعي لا أدب حديث متجدد .

إن مذاهبنا الأدبية الراهنة هي كلها مذاهب غربية خالصة ، لاتعني في شيئ ، إلا أن تفسد علينا عقولنا وأفكارنا وأن تزهدنا في ثقافتنا وتراثنا ، وأن تصرفنا عن تقاليدنا الأدبية الأصيلة ، يقول بعض كُتابنا بين الحين والحين حين يصدمهم واقع الحياة الراهنة : الأدب الراهن الممجوج المبذول المملول ، ويقوله بعض المستشرقين أحيانا حين تعتريهم نوبة إنصاف ، فيتحررون من طابعهم ومن أغراضهم السرية التي يعملون لها بيننا . ومن حقائق الصراع العالمي بين الإسلام والغرب الصليبي التي يخفونها في أنفسهم ، وما أكثر المستشرقين الذين يتنطعون بالعطف على الإسلام والعرب ، حتى يتمكنوا من قلوبنا ومن النفوذ إلى أغراضهم في وسطنا .

يعرف أن الغرب الذي تآمر على حياتنا وحرياتنا وتقاليدنا وسرق حضارتنا وثقافتنا وأدبنا وكنوزنا ، يقف اليوم ليحولنا إلى أوربيين في ثياب شرقي ، إنه لايرضى أن يتركنا – ولو مسلمين بالاسم فقط - بل يريد أن ينسينا الإسلام جملة وأن يصرفنا عنه ولماذا ؟ لأنه النبع الذي سوف يعود إلى الفوران والانبثاق والتدافع مرة أخرى إن لم يكن اليوم فغدا وإلا فبعد غد بأمر الله .

فالصراع اليوم بين الغرب والعرب ، الغرب بأذنابه – من صليبيين - وصهيونيين وملحدين ، إنما هو صراع حول الحياة .

ولابد لأدبائنا أن يعبروا عن حقائق هذا الصراع ، وأن يقف أدباؤنا أنفسهم لرفع الغشاوة عن أعين جماهيرنا المسلمة لتعرف أن الإسلام بان أبداً في رقعتنا العربية المسلمة . وأنه سيظل نوراً حضارياً وهاجاً ، يمد العالم بأصول حياته الروحية والمادية .

والمذهب الأدبي الجديد الذي أدعو إليه ، يقوم أو يجب أن يقوم على الأسس الآتية :

١. أيديولوجية فكرية إسلامية عميقة الجذور .
٢. إيمان مطلق بتراث الإسلام الحضاري والأدبي .
٣. يقين تام مطلق بأن لغة القرآن الكريم هي أرقى لغة أدبية عالمية ، وهي اللغة الصالحة لأداء رسالتنا الأدبية إلى العالم كافة .
٤. عالم موحد النزعات في ظلال إسلام دائم ، يعتنق عقيدة واحدة هي عقيدة قرآننا الكريم .
٥. أهداف الأدب يجب أن تسير مع أهداف الإسلام ومثله وقيمه الروحية والاجتماعية والحضارية .

المراجع :

١. الدسوقي، عمر : في الأدب الحديث ، الطبعة السادسة ، بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٩٦٧م.
٢. شلق، علي : النثر العربي في نماذجه وتطوره لعصر النهضة والحديث ، الطبعة الثانية ، بيروت : دار القلم ١٩٧٤م .
٣. ضيف ، شوقي : الأدب والنصوص ، القاهرة : دار نهضة مصر ١٩٧٧م .
٤. لوتسكي : تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة د/عفيفة البستان ، دار الفارابي بيروت يونيو ١٩٨٠م.
٥. محمد ذكي العشماوي : دراسات في النقد الأدبي المعاصر ، طبعة دار الشرق الأولى ١٩٩٤م .
٦. محمد عبد المنعم الخفاجي : دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، بيروت : دار الجيل ، ١٩٩٢م .
٧. محمد محمود السروجي : دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر ، مصر ١٩٩٨م .
٨. هلال ، محمد غنيمي : النقد الأدبي الحديث ، القاهرة : دار نهضة مصر ١٩٧٣م .
٩. هيكل ، أحمد: تطور الأدب الحديث في مصر ، دار المعارف بمصر ١٩٩٤م .

منهج الإمام ابن كثير في تفسيره

بقلم : الأخ محمد عابد كريم الندوي
باحث الدكتوراه في جامعة مغدهـ ، غيا ، بهار (الهند)

منهج الإمام ابن كثير في تفسيره ، منهج يتصف بالعدالة – والوسطية والارتكاز على المأثورات من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم – وأقوال الصحابة ، فهذا المنهج موثوق به ، جامع بين الرواية والدراية ، ويمتاز في طريقة عرضه وصوغ عباراته أسلوباً سهلاً مؤثراً بليغاً ، واعتنى الإمام ابن كثير شديد العناية بمأثور القول وأشار في ذلك كله إلى مصادره التي اختار منها مواده من كتب في التفسير وعلوم القرآن ، والحديث ، وأصوله ورجاله والتاريخ والفقه والكلام وما إلى ذلك .

تفسير القرآن بالقرآن :

ولقد قرأت هذا التفسير فوجدته يمتاز في طريقه بأنه يذكر الآية ثم يفسرها بعبارة سهلة موجزة ، وإن وجد تأويل الآية بآية أخرى ذكرها وقارن بين الآيتين حتى يتبين المعنى ويظهر المراد ، وهو شديد العناية بهذا النوع عن التفسير الذي يعرف بتفسير القرآن بالقرآن ، وهذا هو الكتاب الذي أكثر ما عرف من كتب التفسير سَرْداً للآيات المتناسبة في المعنى الواحد كما قد أشار ابن كثير إلى منهجه في التفسير في مقدمة الكتاب ، فقال : إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فإنه فسر في موضع آخر [1] .

تفسير القرآن بالأحاديث المرفوعة :

وأضاف ابن كثير قائلاً : فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الإمام الشافعي : كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ وقال تعالى

[1] تفسير ابن كثير ١/٧ .

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وقال تعالى أيضاً ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه يعني السنة ، والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن ، والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم تجده فمن السنة ، وقد راعى ابن كثير ذلك في تفسيره ، فإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا إلى أقوال الصحابة [٢].

تفسير القرآن بآثار الصحابة :

قال ابن كثير : بعد ذلك رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ومما لهم من الفهم التام والعمل الصحيح – لا سيما علماءهم وكبراءهم كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين – والأئمة المهديين ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : والذي لا إله غيره ! ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته (رواه ابن جرير) ، وقال عبد الرحمن السلمي – حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا أنهم كانوا يستقرؤن عن النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً .

ومنهم عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن ببركة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له حيث قال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ، وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : نعم ! ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنه وقد مات ابن مسعود رضي الله عنه في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح ، وعمر بعده ابن عباس رضي الله عنه ستاً وثلاثين سنة ، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود رضي الله عنه، ولهذا غالب ما يرويه السدي والكبير في تفسيره عن هذين الرجلين ابن مسعود وابن عباس [٣].

[٢] تفسير ابن كثير ٧/١ .
[٣] تفسير ابن كثير ٨/١ .

تفسير القرآن بأقوال التابعين :

القرآن يفسر بعضه بعضاً ، فإذا ما وجدنا في السنة ولا عن الصحابة – رجعنا إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبير ، فإنه كان آية في التفسير ، وقد قال : عرضت المصحف على ابن عباس رضي الله عنه ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمه أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها ، ولهذا قال سفيان الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك ، وكسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك وغيرهم من التابعين ومن بعدهم فتذكر أقوال في الآية فيقع في عبارتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالاً ، وليس كذلك فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادي [٤] .

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام :

لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من قال في القرآن برأيه أو بما علم فليتبوأ مقعده من النار – ولقوله صلى الله عليه وسلم : "من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ ، أي لأنه قد تكلف ما لا علم له وسلك غير ما أمر به فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ لأنه لم يأت الأمر من بابه كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار ، ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به ، فقد روي عن أبي بكر الصديق "رضي الله عنه" أنه قال : " أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذ قلت في كتاب الله ما لا أعلم" [٥].

بيان سبب النزول :

ذكر ابن كثير سبب النزول للقرآن لكي يعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب ، وقد أشكل على مروان بن الحكم معنى قوله تعالى : ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٨٨)

[٤] أيضاً ٩/١ – ١٠ .
[٥] تفسير ابن كثير ٧/١ .

وقال : " لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون حتى بين له ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيئ فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه ، أخرجه الشيخان [٦] .

اهتمامه ببيان الناسخ والمنسوخ :

نجد ابن كثير في تفسيره يذكر الناسخ والمنسوخ حيناً بالاختصار وحيناً آخر بالتفصيل ، فمثلاً عند تفسير الآية من سورة البقرة ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ (سورة البقرة الآية/١٠٦) ، ذكر أقوال الصحابة والتابعين وغيرهم في ذلك وأدلتهم على ما ذهبوا إليه فنذكرها بالاختصار وهي :

قد تقرر أن النسخ في الشرائع جائز موافق الحكمة وواقع ، فإن شرع موسى عليه السلام نسخ بعض الأحكام التي عليها إبراهيم عليه السلام ، وشرع عيسى عليه السلام نسخ بعض أحكام التوراة ، وشريعة الإسلام نسخت بعض الشرائع السابقة لأن الأحكام العملية التي تقبل النسخ – إنما تشرع لمصلحة البشر ، والمصلحة تختلف باختلاف الزمان فالحكيم العليم يشرع لكل زمن ما يناسبه .

عنايته باللغة في تفسيره :

اهتم ابن كثير بشرح الكلمات القرآنية وتمثل بها عن الشعر وكلام العرب ، فإن القرآن نزل بلسان عربي ، ويمتاز ابن كثير في المنهج لذلك ، لأنه كان يعلم علم المعاني والبيان والبديع ويعرف خواص تركيب الكلام من جهة المعنى ، وبالثاني : خواصها من حيث اختلافها ، وبالثالث : وجوه تحسين الكلام وهو الركن الأقوم الأعظم في هذا الشأن ، كما لا يخفى ذلك على من ذاق طعم العلوم ولو بطرف اللسان ، الرابع : تعيين مبهم وتبيين مجمل وسبب نزول ونسخ ، ويؤخذ ذلك من علم الحديث ، الخامس : معرفة الإجمال والتبيين والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد ودلالة الأمر .

---

[٦] تفسير ابن كثير ١٧٢/٣ – ١٧٣ .

الابتعاد عن الإسرائيليات والأخبار الواهية في تفسيره :

وإذا كانت هناك كتب أخرى في التفسير مثل ابن جرير الطبري والدر المنثور للسيوطي وغيرهما ، فإن ميزة ابن كثير في تفسيره أنه وفق إلى حد بعيد في اختيار الأحاديث الصحيحة والآثار المسندة كما حاول الابتعاد عن الإسرائيليات ، وكشف ما فيها من مواضع الضعف والدسائس ، كانت خطته بشأن الإسرائيليات كما بينها في مقدمة تفسيره وفي مواضع أخرى منه ، ونذكر ملخصها فيما يأتي :

إن الأحاديث الإسرائيلية التي تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد على ثلاثة أقسام :

الأول : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما شهد له بالصدق ، فذاك صحيح قبلناه .

الثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه رددناه .

الثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا التفصيل ولا من ذلك ، ولا نؤمن به ولا نكذبه ، بل ونجعله وقفاً ، تجوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود على أمر ديني [٧] .

فمثلاً تفسيره لأول سورة "ق" نراه يعرض لمعنى هذا الحرف في أول سورة "ق" ويقول : "وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا "ق" جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل "ق" ، وكان هذا – والله أعلم – من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم مما لا يصدق ولا يكذب ، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاف بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم – كما افترى في هذه الأمة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وما بالعهد من قدم ، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم ، وشريهم الخمور – وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه وتبديل كتب الله وآياته ، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله : وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، فيما قد يجوزه العقل – فأما فيما تحلله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل ، والله أعلم [٨] .

[٧] تفسير ابن كثير ١/٨ – ٩ .

[٨] أيضا ٤/٢٢١ .

لذلك اختار ابن كثير في تفسيره مسلك الإعراض عن الأحاديث الإسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان ولما اشتمل عليه كثير منها عن – الكذب المروج عليهم – فإنه لا فرق عندهم بين صحيحها وسقيمها ، كما حرّره الحفاظ المتقنون عن هذه الأمة .

فإذا تطرقت إلى تفسير ابن كثير بعض الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات المدسوسة – فإنها قليلة جداً ، يعذر له بأن تطهير الآداب الإسلامية منها ليس عمل فرد وإنما هو عمل جماعة ، توقف حياتها لهذا العمل الشاق الطويل ، ويكفي لابن كثير ثناء أن تفسيره يعتبر للآن من أكثر التفاسير اعتماداً على الكتاب والسنة الصحيحة وأبعدها من الخرافات الإسرائيلية ، ولذلك حاز تفسيره إعجاب وثقة العلماء القدامى المحدثين من المسلمين وأصبح مرجعاً كبيراً للدارسين الباحثين [٩] .

الأحكام الفقهية :

كما نلاحظ منهج ابن كثير أنه يدخل في المناقشات الفقهية ويذكر أقوال العلماء وأدلتهم عند ما يشرح آية من آيات الأحكام وإن شئت أن ترى مثالاً لذلك فارجع إليه عند تفسير قوله تعالى في الآية ١٨٥ من سورة البقرة ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٥) إلى آخر الآية ، فإنه ذكر أربع مسائل تتعلق بهذه الآية ، وذكر أقوال العلماء فيها وأدلتهم على ما ذهبوا إليه وأرجع إليه عند تفسير قوله تعالى : في الآية ٢٣ من سورة البقرة أيضاً : ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ ، فإنه قد تعرض لما يشترط في نكاح – الزوج المحلل ، وذكر أقوال العلماء وأدلتهم [١٠] .

الاختصار بالمعنى :

قد اعتمد ابن كثير في عرض المادة على التلخيص والاختصار والنقل بالمعنى عن مصادره وتعدد الموضوعات التي اهتم بذكرها وتنوع المصادر وكثرتها فاستوعب ابن كثير ما جاء في التفاسير المأثورة – للمفسرين قبله ، ثم سردها ملخصاً على لسانه في سياق واحد متماسك مع

[٩] ابن كثير حياته ومؤلفاته ص/٩٠ .
[١٠] تفسير ابن كثير ١/ ٣٨١ – ٣٨٢ .

الإشارة والإحالة على مصادره التي استقى منها معلوماته وذلك عند الخلاف ، أن ابن كثير لا يلتزم فيه بالنقل الحرفي بل يختص ويحذف ويزيد وينقص ويقدم ويؤخر ولكن بدون أن يؤثر ذلك على المعنى الذي أراد الاستدلال به [11] .

تقديم الحقيقة على المجاز :

وتقديم الحقيقة على المجاز ، فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين ، وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله من الحقيقة ويسمى مجازاً راجحاً ، والحقيقة مرجوحة وقد اختلف العلماء أيهما يقدم ، ولكن ابن كثير من أولئك العلماء المفسرين الذين يرون أن القرآن كلام الله الحقيقي فألفاظه لا تبنى إلا على الحقيقة لا على المجاز .

الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

قد أبرز ابن كثير في تفسيره نواحي مشرقة زاهرة حثاً للمسلمين على عمل الخير واتباع الحق كما أشار إلى ما وصل إليه المسلمون من ضعف وانحطاط في بعض العصور وبين سبب ذلك للنصيحة والعبرة والدرس ويميز بجرأته في الحق وصراحته في النقد ولا يخاف في الحق لومة لائم في تفسيره .

منهجه في ذكر قصص الأنبياء :

قال الدكتور مصطفى عبد الواحد : علينا الآن أن نتأمل منهج ابن كثير في تفسيره في قصص الأنبياء لنرى ما قدمه من جديد وما تفرد به من خصائص مما يعد تجديداً في هذا الجانب ، إن ذلك يقتضينا أن ينظر في مصادر ابن كثير في قصص الأنبياء ومصنفها حسب تعويله عليها .

وأول ما يتضح لنا أن ابن كثير قد جعل القرآن الكريم مصدره الأول في تاريخ الأنبياء – فعوّل على طريقته والتزم بأخباره وقطع بأن كل ما يخالفه من أقوال أهل الكتاب وهو كذب وبهتان ، وذلك الحق الذي يقطع به كل مسلم [12] .

أسلوب ابن كثير في تفسيره :

سهل لطيف شيق يتميز بالوضوح وصحة العبارة وسلامتها من

---

١١ ابن كثير كمؤرخ – ١٤٧ .

١٢ قصص الأنبياء ١٣/١ .

الغموض والتعقيدات ، فقد كانت ثقافته الأدبية جيدة ، فقال مترجموه : إنه كان يشارك في النثر مشاركة جيدة وينظم الشعر ، فإنه يهتم بالمعاني دون القشور والألوان الزاهية في تجميل العبارة وتحسينها ، أو على حد قول الأستاذ أحمد الشرباصي "شغلته الفكرة والمعاني عن التكلف في الأسلوب والمباني" [١٣] لذلك جلى أسلوبه عن التصنع والتكلف وطبع بطابع الإرسال والبساطة كما نرى في تفسيره .

مصادره المهمة :

أما كتب التفسير التي اعتمد عليها ابن كثير فمنها تفسير الطبري وتفسير ابن أبي حاتم ، فإنه اعتمد عليهما في الدرجة ، وكثيراً ما قرن بذكرهما – أما تفسير ابن كثير لم ينقل جميع روايات الطبري في تفسيره بل كان ينقد بعضها وتخالف بعضها الأخرى ويرد بعض ما ذهب إليه الطبري في أقواله واختياره مثلا جاء عند الطبري عن الحسن البصري أن الكرسي هو العرش وهنا – يقول ابن كثير وهو لا يصح عن الحسن بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره [١٤] .

خاتمة :

فقد أثنى على هذا التفسير ابن تيمية شيخ ابن كثير على قول البستاني كما اعتبره شيخه الذهبي مفسراً نقاداً ، وقال السيوطي عن هذا التفسير : لم يؤلف على نمطه مثله ، أما الشوكاني فكان يعده من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها ، لأنه جمع فيه وأوعى ونقل المذاهب والأخبار والآثار وتكلم بأحسن الكلام الفنية ، واعتبره ابن فهد من أفيد كتب التفسير بالرواية ، لأنه "يتكلم في أسانيد الروايات جرحاً وتعديلاً غالباً – ولا يرسلها إرسالاً كما يفعل غالب المفسرين من الرواة [١٥] .

وقال الشيخ أحمد الشرباصي : " تفسير جميل للقرآن العظيم يدل على واسع علمه وكبير اطلاعه على السنة" [١٦] .

---

١٣ مجلة الحج ١٠/٢ (شعبان ١٣٧٥هـ) انظر في ابن كثير كمؤرخ ١٥١ .
١٤ نفس المصدر ١٣/١ – انظر في ابن كثير كمؤرخ ص/١٨ .
١٥ ابن كثير حياته ومؤلفاته ص/٩١ .
١٦ مجلة الحج ١٠/٢ (شعبان ١٣٧٥هـ) انظر ابن كثير حياته ومؤلفاته ص/٩٢ .

تعليق على تاريخ مسلمي الهند بعد الاستقلال:

ثورة المسلمين بعد استقلال الهند عام ١٩٤٧م

د/ محمد سلمان خان الندوي
الأستاذ المساعد لكلية ممتاز لكناؤ ، الهند
drsalmannadwi@gmail.com

نسبة عدد المسلمين في الهند تقارب ٢٥٪ , وعدد سكان الهند حالياً يفوق مليار وثلاثمائة مليون نسمة ، أضف إلى ذلك أن المسلمين ليس لديهم ما يسمى بتحديد النسل ، فهم يتوكلون على الله ويتكاثرون ويتناسلون ، ومعنى ذلك أن المسلمين لا يقلون في أي من الأحوال عن ٣٠٠ مليون ، بل إنهم قد يتجاوزون ذلك ، صحيح هم أقلية ولكنهم يمثلون أكبر تجمع إسلامي في العالم في منطقة واحدة .

إذا استعرضنا ظواهر المسلمين بعد استقلال البلاد من أحوالهم الدينية والسياسية والاجتماعية، فالظاهرة الملموسة هي أن المسلمين أصيبوا بالشعور بمركب النقص بعد هدء عاصفة الثورة لعام ١٨٥٧م ، وتسرب اليأس إلى حياتهم ، وابتعدوا كل البعد عن الأخلاق والفضائل الإسلامية ، وأصيبوا بجمود تعليمي وديني واجتماعي ، وفقدوا الثقة بأنفسهم وبمستقبلهم، وقد ظهر جلياً هذا التأثر والانقلاب في حياتهم .

دراسة القانون المدني الموحد والأقليات الهندية :

الآن أدرس القضية الثائرة التي أصبحت موضوعاً رئيسياً في البلاد وصارت حديث الإعلام الهندي وهو قضية القانون المدني الموحد وترفع الأصوات لتطبيق هذا القانون الذي يزعج الأقليات ، اتخذ المجلس التشريعي للهند المستقلة الدستور الهندي بعد نظر ودراسة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٩م ونفذت البنود الأخرى لهذا الدستور في ٢٦ يناير ١٩٥٠م .

وإن الدستور الهندي مفصل تماماً نظراً إلى دستور البلدان الأخرى ، فهو يشتمل على ٣٩٥ مادة إضافة إلى المواد الهامشية ، ولذلك ألحقت فيها ٨٠ تعديلة منذ قرار الدستور في عام ١٩٤٩م ، وكان المستر راجندر برشاد رئيس جمعية التشريع الهندي وقع عليها بعد

إكماله في ٢٦ نوفمبر ١٩٤٩م يقول في خطابه الوداعي الذي ألقاه في المجلس التشريعي : لا يمكن أن يشمل الدستور كل شيء ولكن يجب اتخاذ المواقف اللازمة تجاه هذه القوانين ، إلا أن الأمر لم يكن هكذا بل حال دون إدخال جميع الأمور في البنود من الدستور الهندي [١]

نالت الهند حريتها من نير الاستعمار الغاشم في عام ١٩٤٧م ، ولم يكن هناك أي تصور للقانون المدني الموحد ، و في خلال كفاح الحرية قدم هذا الاقتراح في جلسة ٣٠ مارس سنة ١٩٤٧م وقررت اللجنة الفرعية أن تضاف مادة القانون المدني الموحد في المبادئ التوجيهية وذلك بأصوات الأغلبية الكاثرة للأعضاء ، وحينما قدم مشروع الدستور الهندي في البرلمان ونوقشت مادة ٤٤ التي كانت تشتمل على إعطاء القانون المدني الموحد المكانة القانونية ، رفع كثير من الأعضاء المسلمين أصواتهم ضد هذا القانون ، وقدموا تعديلات شتى في مادة ٤٤ ، ولكن لم تقبل مرافعاتهم وتعديلاتهم ، ونذكر هناك بعض التعديلات التي أشار إليها محمد إسماعيل رئيس هيئة القضية الإسلامية يقول :

أن تضاف هذه النقطة في المادة رقم ٣٥ بأن لا يجبر أي مجموع أو طبقة على التنازل عن أحوالها الشخصية إذا كان عندها مثل هذا القانون [٢] أن يربط هذا الجزء الجديد الفرعي بجزء (جي) لمادة ١٣ حرية الاستقلال الديني لسكان البلاد ، ولكل من كان على دين أو يظهر انتماءه إليه [٣] لكن رفضت تعديلات الأعضاء المسلمين للبرلمان رغم الحوارات والبحوث المطولة مع أنها قدمت لاحتفاظ قانون الأحوال الشخصية من أضرار المادة رقم ٤٤ ، وطمأنهم الدكتور امبيدكر بقوله : وبهذا تحول الحكومة الخيار فقط ليس معناه أنها ترفض قوانين الأحوال الشخصية للأقليات رغم معارضة المسلمين والمسيحيين والأقليات الأخرى وأن الحكومة لا تصر على استخدام هذا الخيار القانوني مع معارضة الأقليات [٤] .

١ هندوستان تائمز ٢٤ مايو ١٩٩٥م
٢ مجادلة المجلس التشريعي المجلد ٧/ ٣٦ (قانون ساز كونسل دلهي الجديدة)
٣ أيضاً – ص/٧٣١
٤ تائمس آف انديا دلهي الجديدة ٢٨ يوليو ١٩٩٥م

دراسة بنود الدستور الهندي :

وفي جانب آخر لم يمنح الدستور الهندي الحكومة الحق فحسب بل أرشدها بأن تنفذ القانون المدني الموحد وتسلم بحق الحرية للدين بموجب المادة رقم ٤٤ .

أولاً يلزم أن نشرح الدستور الهندي الذي يتضمن ٢٢ جزءاً .

الجزء الأول : يشتمل على تفاصيل المملكة وحدود مناطقها .

الجزء الثاني : ذكرت فيه قوانين الجنسية الهندية .

في الجزء الثالث ذكرت الحقوق الأساسية لسكان البلاد بكل وضوح وتفصيل ٥.

وتظهر أهمية هذا الجزء الأخير من الدستور لأن المادة رقم ١٣ تبين الحقوق الأساسية .

إن جميع القوانين والأوامر لهذا الدستور تطبق أولاً في منطقة واحدة من مناطق الهند ، فإن واجهت الخلاف والمعارضة عدت مرفوضة ملغاة .

أما القوانين العائلية لديهم فهي عبارة عن أعراف وتقاليد توارثوها من مجتمعهم ، ووافق عليها رجال الدين وعلماؤهم ، ولكن الدين الإسلامي شريعته محكمة جاء بها الوحي السماوي ، ثم إنها تحيط جميع جوانب الحياة الإنسانية في جانب ، وفي جانب آخر إنما هو دين سماوي ، أنزله الله تعالى رحمة وهداية للعالمين ، فقيمته قيمة سماوية مقدسة ، لا يجوز لإنسان أو جماعة من البشر أن يدخل فيه تغييراً وتعديلاً بعد ما قرر وأوضح ذلك رسوله الأخير محمد صلى الله عليه وسلم ، ويستوي في ذلك رجال الدين والعلماء وغيرهم فلا يجوز لهم مهما بلغوا من قمة العلم والمعرفة، سوى **أن يشرحوا ويبينوا** ما خفي فيه من أحكام وتفاصيل الشريعة ، ومن ثم **يتضح أن العمل بالشريعة** أو تركه ليس أمراً اختيارياً ، يلتزم به المسلم إن شاء **أو يتركه إن شاء** ، ولا فرق بين أجزائها المختلفة من ناحية العمل بها ، **سواء كانت** تتعلق بقوانين الأحوال الشخصية أو باحترام حقوق الآخرين ، [illegible] يجب على كل من يؤمن بالله رب العالمين ـ الذي له الخلق والأمر ـ واليوم

٥ صحيفة الدعوة دلهي ، العدد الخاص عن أحوال القرن العشرين ص: ٢٩ ، ٢٨أبريل ٢٠٠٥م

الآخر ورسوله وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، أن يعض على الشريعة بالنواجذ بجميع أجزائها حسب مدارجها بدون أي تمييز بين أمر وآخر مما يتعلق بالقوانين العائلية ، وما يتعلق بالعبادات ، فيلدرك المثقفون من غير المسلمين والحكومة هذا الفرق الجذري والمبدئي بين الدين الإسلامي والديانات الأخرى[٦].

مادة ٤٤ وسلطات الحكومة :

إن سلطات الحكومة تكون معينة محدودة عملياً سواء كان نطاق سلطاتها واسعة وغير محدودة ، لأن أي حكومة مستقلة لا تخطو قدماً على أي إجراء وعملية تؤدي إلى ثورة طبقة أو مجموعة وإذا تخطت تعد فاترة العقل .

وقد صرح رئيس الوزراء الأسبق جواهر لال نهرو : ما آن لنا أن نخوض في مضمار القانون المدني الموحد ، ونخطو خطوة لإنجاز هذه الخطة .وكذا صرحت انديراغاندي ووشوناتهـ برتاب سنغ ، فالعجب على الذين يثيرون هذه القضية مع أن الأمر لا يتعلق بهم ، فالخوض في هذا المجال ضياع للوقت ، فخلاصة القول أن مادة/٤٤ قررت بالإضافة والتعديل رغم معارضة شديدة من أعضاء البرلمان ، وبذلك أصبح دستورنا الهندي عرضة للتعارض الظاهر .

وفي جانب آخر أضيف في الجزء الثالث من الدستور الهندي تحت مادة ٢٥ بين الحقوق الأساسية بأن يحظى جميع المواطنين في البلاد بحقوق متساوية لاعتناق أي دين وتبليغه ونشر دعوته بشرط أن لا يتأثر بها الأمن العام والأخلاق العامة والصحة العامة وغير ذلك من التوضيحات الأخرى لهذا الجزء .

ولذلك أعلنت حزب بي جي بي (B.J.P.) استفادة من حقوق تشريع القوانين انها تطبق القانون المدني الموحد ، وإن جمعيات شيو سينا قررت مشروعين تقدح بها قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين وتنشر تراجمه في عدة لغات ، وسيكون ذلك من أهم منجزات الهيئة[٧].

٦ الرائد العددان: ٢٢- ٢٣ أول يونيو ١٩٩٧م

٧ "مسلم برسنل لا اور اسكي سركرميان" منشورات هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية ، نيو دلهي

إن أهم هدف ترمى إليه الهيئة هو الحفاظ على الشريعة الإسلامية والشعائر الدينية ، ومن أهم مقتضيات العصر الحديث هو بث هذه الحركة ونشر رسالتها في كافة أنحاء البلاد واطلاع العامة على ما منحت الشريعة الإسلامية النساء من الحقوق ، وما للقوانين العائلية من أهمية ونافعية وإصلاح المسلمين بما انحرفوا عن الجادة المستقيمة تخص بالذكر بالقوانين العائلية مثل النكاح والطلاق والوراثة والمهر، والنفقة والوصية والأوقاف ، وتصعد حركة إصلاح المجتمع لإيقاظ المسلمين وتوعيتهم ومحو التقاليد الزائفة التي راجت في عامة المسلمين .

مرافعات لاحتفاظ قانون الأحوال الشخصية الإسلامية :

إنني أرى أن انتساخ مادة ٤٤ لا تكفي لرعاية قانون الأحوال الشخصية للأقليات بل يجب سحب القوانين التي تشير إلى مواد الحقوق الأساسية .

فإذا اقتصرنا على رفض مادة ٤٤ ولم نحاول لإدخال مادة من مواد الحقوق الأساسية في محلها لكي يسترعي الاحتفاظ بقوانين الأحوال الشخصية للمسلمين في مواد الحقوق الأساسية ، لكانت الحكومة المركزية والإقليمية تواصل التدخل في شؤون القوانين العائلية للمسلمين بمادة ٢٤٦ ، وفيها حقوق تشريع القوانين .

متابعات القوانين المقررة :

من أهم أولويات الإجراءات قانونياً ودستورياً لاحتفاظ قانون الأحوال الشخصية بأن يستعرض خبراؤنا القانونيون وعلماء الدين تلك القوانين التي ترفع في البرلمان المركزي والمجالس الإقليمية بكل دقة وتدبير ، ومجموعة القوانين التي ترفع إلى المحكمة مباشرة ، ويحاولوا رفضها خلال تشريعها ، لأن عملية التغيير والإصلاح تكون سهلة خلال فترة تشريع القوانين ، ولكن بعد التقييد والقرار تتعسر عملية التغيير ولذلك يجب أن تكون لجنة قانونية في عاصمة البلاد ، دلهي ، وجميع مراكز الولايات تكون مشتملة على خبراء القانون ويراقب علماء الدين أوامر التشريع وتقدم خطوات مهمة في هذا السبيل .

القوانين الإسلامية تلائم طبيعة العصر :

إن الشريعة الإسلامية تتسم بالاتزان والاعتدال وتراعي

الحاجيات الطبيعية ومقتضيات الحياة كلها وتدفع الإنسان إلى رحابة الصدر، وسعة النظر لكونها صالحة لقيادة هذا العصر المتطور العلمي وترافق مقتضيات الحياة كلها ، ولكن ذلك يحتاج إلى شرح معقول وإيضاح حسن وعرض جميل ، الذي يبعث على الأسف هو كما قلنا عن هذه الناحية الهامة ، أننا نظن أن الشريعة الإسلامية واضحة جلية أمام غيرنا كذلك كما هي واضحة لنا ، أما ما نراه إلى أن سبب عداوة جيراننا من غير المسلمين للإسلام والمسلمين هي لمجرد تعصبهم الديني ، إنما يكون صحيحاً في نطاق محدود ، ولكن يُبنى صرحه على الجهالة المطلقة بقوانين الإسلام وصلاحيتها في هذا العصر ، فبعضهم يشكك في صلاحيتها وتطبيقها وبعضهم يحسب أن ما جاء به الإسلام في النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي أمور قليلة لا تبلغ أن تكون نظاماً يوجه الحياة ، والدليل على ذلك هو البيان الذي أصدره المستر راجيف غاندي رئيس وزراء الهند سابقاً في عهد حكمه بعد لقاءات ومحادثات عديدة تمت بينه وبين علماء هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند برئاسة سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي والشيخ منت الله الرحماني ، فقد جاء فيه أن الحقوق الأساسية الممنوحة في الإسلام لا توجد لدى الديانات المختلفة وذلك كما صرح به ولي العهد البريطاني تشارلز في خطابه الذي ألقاه في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية بلندن : إن الحقوق الممنوحة للمرأة في الإسلام هي أكثر مما أعطاها أي ديانة أخرى في العالم ، والمرأة ليست مضطرة مهضومة حقها في الإسلام ولذلك يجب علينا أن نقوم بإبراز محاسن الإسلام وجوانبه المنسجمة للطبيعة البشرية واتزانه وعدالته في توضيح الحقوق وفرض المسئوليات والواجبات للإنسان التائه الضائع في الإفراط والتفريط ؟ وبذلك لا تنتهي معارضة ومعاداة عدد كبير من غير المسلمين فحسب بل إنما يصبح معظمهم مسلمين وموالين للإسلام ، والحقيقة التي أكدناها أن معظم هؤلاء لا ينكرون حكم الله لكنهم يجهلونه ، فإذا بيّنا لهم كمال النظم الإسلامية يأتون إلى عالم الحقيقة وليس بخاف على البصير مدى أهميته وضرورته لتحقيق هدفنا المنشود من تعريف الناس

بالشريعة الغراء السمحة وتأييدها من الطبقة المثقفة الآخذة زمام الفكر والتعليم والتربية والإدارة في الحياة الاجتماعية البشرية اليوم ، ولكن القيام بعرض الإسلام بجميع صفاته وخصائصه ، يتطلب منا الإخلاص والمثابرة واختيار الأسلوب الحكيم والاطلاع على الثقافة الواسعة المتنوعة والقدرة الفائقة على لغة العصر السائد اليوم ، فإن هذا العمل الجليل لا يتم بمجرد الأماني ووضع الخطط على الأوراق ونشرها في الصحف ومن دور الإذاعات، بل إنها تتم بإعداد أفراد أكفاء يقومون بحمل هذه المسئولية كخطوة أولى لهذا العمل العظيم ، أما بالنسبة لمسلمي الهند فإن هذا المشروع يحمل أهمية بالغة وخطورة عظمى حيث إنهم يعيشون كأقلية بين الأغلبية الهندوسية الوثنية المتعصبة الحاقدة ، فلا بد من تقشع السحب المتراكمة وإزاحة الستار من العيوب الكلية [٨] .

لا أنكر كلياً وجود المعاندين الذين يأتي عنادهم من التعصب العنصري أو الديني لكنهم أقل عدداً ممن يعارضون بسبب جهلهم لحقائق الإسلام وعدم اطلاعهم على الشريعة الإسلامية الغراء ومحاسنها ، لو قمنا بتطهير عقول هؤلاء من الشكوك والشبهات وسوء الفهم للإسلام لكسبنا تأييدهم وموافقتهم ، وبالتالي فإن مصطلح قانون الأحوال الشخصية الإسلامية يعني لدى المثقفين اليوم شؤون العلاقة بين الزوجين والقضايا الناشئة منها ، والشؤون العائلية الأخرى كالوراثة والتبنى وهي الأمور والشؤون التي تفوق فيها قوانين الأحوال الشخصية الإسلامية على مثلها في الشرائع والقوانين الأخرى في الملاءمة مع مصالح الحياة العائلية ، وهناك تذكر بعض الأوامر العائلية على سبيل المقارنة بينها وبين عديلها من الأحكام العائلية في الديانات الأخرى ، بأن حبل الزواج في الديانات الأخرى يكون موثقاً مربوطاً لا تنقطع مهما جر ذلك من صعوبة أو ضرر بمصالح الزوجين بسبب اختلافهما في الطبيعة أو في وجهات النظر أو بسبب آخر ، شابة كانت أو عجوزاً ، وسواء مات زوجها بعد عقد الزواج فوراً أو بعد مدة طويلة ، ولا تنقطع

٨ مسلم برسنل لا بورد اور اس كي سركرميان ٢ هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية نبودلهي

صلة المرأة المتوفى عنها زوجها عن بيت زوجها ، وهذا الضيق والحرج الشديد يدفعان كثيراً من النساء إلى ارتكاب المنكرات والفواحش والولوغ في الحرام ولم لا ؟ فإن المرأة تبقى في بيت زوجها بلا رادع ولا معين ، وتعتبر مشئومة وتنقطع علاقتها من بيت أبيها [٩].

وعلى العكس من ذلك يمنح الإسلام لمثل هذه المرأة حق التزوج مع رجل آخر واستيناف حياتها من جديد ، بل يحث إياها وأولياءها على ذلك وتستحق الزوجة من زوجها مبلغاً محترماً من المال باسم المهر الذي ارتضت به من زوجها ، وليس من السهل الميسور أن يطلق الرجل المرأة وعليه نفقات الزواج والمهر والأموال التي يبذلها لزوجته على قضاء الشؤون الزوجية ، أما المرأة فهي تتزوج بدون نفقة تنفقها عند الزواج ، بل تنال بالعكس من ذلك مبلغاً جديداً باسم المهر .

نقدم هناك بعض الأسئلة من كتاب المصنفين الغربيين الذين اعترفوا بفضل أحكام الشريعة الإسلامية المتعلقة بحقوق النساء واحترامها وإعطاء حقها من الكرامة والقداسة ، يقول المستر N.L.Coulsen :

" تجتاز القوانين القرآنية الأولية في قضايا زواج المرأة ، والأحكام متعددة في هذا الباب هدفها إعطاء المرآة مكانتها وكرامتها ، وهي من المظاهر الكبرى في قوانين العرب وقضية تحديد العدة من الأمور المهمة التي ذكرت في القرآن الكريم "[١٠].

والحكومة لا تشرع قانوناً تسلب به الحقوق المخولة في هذا الجزء من الدستور الهندي ، فإن شرعت قانوناً يضاد هذا الجزء من الدستور ، فيكون باطلاً ، وإن ذكرت حقوق وواجبات عديدة في هذا الجزء من الدستور منها حقوق العدالة ، وحق الاستقلال الديني ، حق الحرية وحقوق التعليم والثقافة ، حق المرافعة إلى المحاكم وغيرها .

٩ مسلم إنديا ١٥ يونيو ١٩٩٦م ص: ٣٤٢.

١٠ A. History of Islamic Law Edinburg 1971 page ١٤

تفسير القرآن الكريم

للعلامة السيد سليمان الندوي

(الأنبياء ، الحج ، المؤمنون ، النور ، الفرقان ، الشعراء ، النمل)

جمع وترتيب : محمد فرمان الندوي

سورة الأنبياء

بل قالوا أضغاث أحلام ، بل افتراه ، بل هو شاعر :

قال الله تعالى: وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً (بني إسرائيل : ٥٩)

قالوا يويلنا إنا كنا ظالمين : فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين .

قال الله تعالى: هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ ٱنتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ (الأنعام : ١٥٨)

وقال تعالى : أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ . قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَآلِّينَ . رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ . قَالَ ٱخْسَئُواْ فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ (المؤمنون : ١٠٥ - ١٠٨)

وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم :

قال الله تعالى: وَأَلْقَى فِي ٱلأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَعَلاَمَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (النحل : ١٥ - ١٦)

وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، كل في فلك يسبحون :

قال الله تعالى: وَآيَةٌ لَّهُمُ ٱللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ . وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ، ذلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ . وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ . لاَ ٱلشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلاَ ٱللَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (يس : ٣٧- ٤٠)

ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكراً للمتقين :

قال الله تعالى : ذلِكَ ٱلْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (البقرة : ٢)

والتي أحصنت فرجها ، فنفخنا فيها من روحنا .
قال الله تعالى: وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَآ إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (المؤمنون : ٥٠)

لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون :
قال الله تعالى: فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلأَرْضُ إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (هود : ١٠٦ - ١٠٧)

إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون :
قال الله تعالى: وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَواْ هُدًى وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَّرَدّاً (مريم : ٧٦)

إن في ذلك لبلاغا لقوم عابدين :
العابدون الذين يعملون لا لأنفسهم ، بل كله لله تعالى .

سورة الحج

الحج : المحشر ، تطهير مقام المحشر من الأصنام . والحج مثال المحشر .

من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة ، فليمدد بسبب إلى السماء :
معنى السماء : الله.

ذلك ، ومن يعظّم شعائر الله :
قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ ٱللَّهِ وَلاَ ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلاَ ٱلْهَدْىَ وَلاَ ٱلْقَلاَئِدَ وَلا آمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (المائدة : ٢) وقال الله تعالى : وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (الحج : ٣٦)

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم :
قال الله تعالى : إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (الأنفال : ٢)

كذلك سخّرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم : هنا تكبير التشريق .

أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا : قال العلامة : إذن القتال تطهيرهما الحج .

والذين سعوا في آياتنا معاجزين :

قال العلامة : إن الآية التي تمت بالنبي صلى الله عليه وسلم هي فتح مكة ، وتطهيرها ، وكان المشركون يتربصون فتحها ، ويظنون التأخير دليلاً على كذبه صلى الله عليه وسلم ، وفتح مكة كان منتظراً عند اليهود .

ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل :

قال الله تعالى : ذٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَاطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ (لقمان : ٣٠)

وجاهدوا في الله حق جهاده : قال العلامة : الحج هو الجهاد .

سورة المؤمنون

قد افلح المؤمنون : قال العلامة : سمات المؤمن .

إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم :

قال الله تعالى : وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ (المعارج : ٢٩ - ٣١)

وعليها وعلى الفلك تحملون :

قال الله تعالى : وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (يس : ٤١)

فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا :

قال الله تعالى : فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلاَ تُخَاطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (المؤمنون : ٢٧)

ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين :

قال الله تعالى : وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (هود : ٩٦ - ٩٧)

وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين :

قال الله تعالى : وَٱلَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (الأنبياء : ٩١)

سورة النور

موضوع السورة : سورة تنزيه وتطهير

وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين : قال العلامة : فإن عذاب الله في الآخرة أشد .

والذين يرمون أزواجهم ، ولم يكن لهم شهداء :

قال الله تعالى : وَٱللاَّتِى يَأْتِينَ ٱلْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنْكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ

اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً . وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً (النساء : ١٥ - ١٦)

ومن يتبع خطوات الشيطان : أي في الإفك .

وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم : من يغفر يُغفر .

يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون :

قال الله تعالى: اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (يس : ٦٥)

يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم :

قال العلامة : علم منه أن صلاة الظهر بعد وقت القيلولة ، وأن العشاء يتبعه وقت النوم .

سورة الفرقان

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده : أي عبد الله .

وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون :

قال الله تعالى: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (النحل : ١٠٣)

وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام :

قال الله تعالى: فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا هَـذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلاَئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـذَا فِي آبَآئِنَا الأَوَّلِينَ . إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِ حَتَّى حِينٍ (المؤمنون : ٢٤ - ٢٥)

يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً : أي في البرزخ

سورة الشعراء

لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين :

قال العلامة : تسلية النبي صلى الله عليه وسلم أن الآيات لا تنفع الظالمين ، وإن نوع الأنبياء معصومون عن الشيطان .

فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين :

قال الله تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَآ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَلَمَّا جَآءَهُم بِآيَاتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ (الزخرف : ٤٦ - ٤٧)

قلوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين :

قال الله تعالى: قَالُواْ إِنْ هَـذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى . فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُواْ صَفّاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (طه : ٦٣ - ٦٤)

فألقي السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون :

قال الله تعالى: فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوۤاْ آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ . قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَىٰ (طه : ٧٠ - ٧١)

وقال الله تعالى: وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوۤاْ آمَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ . قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ . لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ . قَالُوۤاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (الأعراف : ١٢٠ - ١٢٥)

فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم :

قال الله تعالى: كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَاكِهِينَ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ . فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ (الدخان : ٢٥ - ٢٩)

فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة :

قال الله تعالى: وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ . كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (هود : ٩٤ - ٩٥)

سورة النمل

عمود السورة : الإيمان بالله والآخرة إصلاح ، والكفر به إفساد .

فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها :

قال الله تعالى: فَلَمَّآ أَتَاهَا نُودِىَ مِن شَاطِىءِ ٱلْوَادِى ٱلأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ (القصص : ٣٠)

وجعل بين البحرين حاجزاً : قال العلامة : لعلّة الولي .

بل ادّارك علمهم في الآخرة :

قال الله تعالى: كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـٰؤُلاَءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لاَّ تَعْلَمُونَ (الأعراف : ٣٨)

إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل : قال العلامة : القرآن يرد اختلافاتهم إلى الصواب .

●●●

أخبار علمية وثقافية :

(١) ندوة علمية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في غجرات (فرع غجرات)

في الفترة ما بين ١٤- ١٥ من شهر نوفمبر لعام ٢٠١٤م ، الموافق ٢١- ٢٢ من شهر محرم لعام ١٤٣٦هـ عقدت ندوة علمية في رحاب جامعة العلوم بمنطقة " غرها " بولاية غجرات ، نظمها فرع الرابطة ومقره في جامعة علوم القرآن ببلدة جمبوسر في ولاية غجرات لصاحبها فضيلة الشيخ المفتي أحمد الديولوي ، سكرتير فرع الرابطة بالولاية.

وكان موضوع الندوة (علماء غجرات فيما بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر الهجري ، وإنجازاتهم العلمية والأدبية) ، انعقدت الجلسة الافتتاحية في قاعة العلامة السيد أبي الحسن الندوي برئاسة كاتب هذه السطور ، ألقى فيها كلمة تحية مؤسس ورئيس جامعة العلوم فضيلة الشيخ سيف الدين ، وعلق عليها رئيس الجلسة إلى أن حان وقت صلاة المغرب .

وبعد صلاة المغرب انعقدت الجلسة الأولى للمقالات التي قدمها عدد من العلماء المندوبين المشاركين في الندوة ، وكان عدد المقالات التي قدمت خلال أربع جلسات إلى الحفل قد تجاوز ثلاثين مقالاً ، وكلها كانت تدور حول الشخصيات والأعمال والإنجازات والخدمات العلمية والأدبية التي أنجزها علماء وأدباء ورجالات هذه الولاية ممن أنجبتهم أرض غجرات خلال الفترة المذكورة في عنوان الندوة ، وقد علق عليها رئيس الجلسة فضيلة الشيخ المفتي أحمد ديلوي .

وكان من بين المشاركين والمشرفين على الندوة فضيلة الشيخ الأستاذ نذر الحفيظ الندوي الأزهري ، وفضيلة الشيخ المفتي أحمد ديلوي ، والشيخ المفتي محمد ديلوي ، وفضيلة الشيخ محمد إقبال الندوي المدني ، وأساتذة جامعة العلوم في غرها ، والمساهمون في الندوة أساتذة وشخصيات علمية ودينية وطلاب المدارس من ولاية غجرات وخارجها ، وانتهت الندوة – والحمد لله تعالى – بنجاح وفي جو من السرور والنشاط .

(٢) برامج دراسة الفقه الإسلامي في ضوء المناهج الاستنباطية للأئمة الأربعة

نظمت كلية الشريعة بجامعة ندوة العلماء لكناؤ ، الهند برنامجاً تربوياً ليومين حول موضوع الفقه الإسلامي بعنوان : الأئمة الأربعة خدماتهم الجليلة وأهمية آرائهم ومناهج استنباطاتهم من الكتاب والسنة في حل

مشكلات العصر الحديث . وذلك في ٢٥- ٢٦/ من شهر نوفمبر ٢٠١٤م الموافق ٢- ٣ من شهر صفر ١٤٣٦هـ .

عقدت الجلسة الافتتاحية برئاسة سماحة الشيخ العلامة محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء العام ، أسهم فيها عدد من أساتذة الفقه الإسلامي بكلمات حول الموضوع . وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ فقيه العصر الشيخ خالد سيف الله الرحماني ، وفي الأخير ألقى سماحة رئيس الجلسة خطاباً رئاسياً مبيناً فيه أهمية هذا البرنامج في عصر الحضارات المادية ، والنظرات الوضعية التي تسدُّ منابع السعادة والهدوء في وجه العالم البشري .

وقد امتد هذا البرنامج بين فترة يومين إلى ست جلسات ، أسهم فيها علماء الفقه الإسلامي البارزين ، الذين تناولوا الموضوع بنواحيه المختلفة ، وناقشوا الموضوع الأساسي في ضوء الكتاب والسنة واجتهاد الأئمة . منهم فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلي ، أستاذ الفقه والتفسير بجامعة ندوة العلماء ، وفضيلة الشيخ المفتي جنيد عالم الندوي ، رئيس المفتين بالإمارة الشرعية ، في مدينة بتنه ، وفضيلة الشيخ ثناء الهدى القاسمي ، وفضيلة الشيخ فهيم أختر الندوي ، وفضيلة الشيخ محمد زكريا السنبهلي عميد كلية الشريعة بجامعة ندوة العلماء ، وفضيلة الشيخ محمد إلياس الندوي ، وفضيلة الشيخ محمد فيصل الندوي ، وفضيلة الشيخ راشد حسين الندوي ، وفضيلة الشيخ سلمان الحسيني الندوي ، وفضيلة الشيخ زين الإسلام القاسمي ، وفضيلة الشيخ عتيق أحمد القاسمي أستاذ الفقه والحديث بجامعة ندوة العلماء ، وفضيلة الشيخ ظفر عالم الندوي أستاذ الفقه الإسلامي بجامعة ندوة العلماء ، وفضيلة الشيخ محمد زيد المظاهري الندوي أستاذ الحديث بجامعة ندوة العلماء ، وفضيلة الشيخ بدر أحمد المجيبي من ولاية بهار .

كما قد تولى رئاسة الجلسات كل من سعادة الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الندوي وفضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحماني وفضيلة الشيخ محمد زكريا السنبهلي وفضيلة المفتي عتيق أحمد القاسمي وسعيد الأعظمي الندوي .

لقد كان عقد هذه الندوة الفقهية باعثاً على الدراسة الموضوعية للمشكلات والقضايا التي يعيشها المسلمون في كل مكان نتيجةً للأوضاع السياسية والحضارات المادية التي يعيشها الناس في العالم المعاصر اليوم .

إلى رحمة الله تعالى :

(١) الشيخ عبد القادر الشيبي إلى رحمة الله تعالى

غادر الشيخ عبد القادر الشيبي إلى رحمة الله تعالى فجر يوم الخميس ٢٧/من شهر ذي الحجة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٣/من شهر أكتوبر ٢٠١٤م عن عمر يناهز ٧٤ عاماً بعد مرض طال به إلى مدة شهور ، وقد صُلي عليه في الحرم المكي الشريف بعد صلاة العصر وتم دفنه في مقبرة المعلاة بمكة المكرمة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ عبد القادر الشيبي كبير سدنة بيت الله الحرام وكان قد تولى سدانة الكعبة المشرفة عقب وفاة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الشيبي عام ٢٠١٠م واستمر في منصب السدانة المشرَّف إلى عام ٢٠١٤م ، ومن عادة أسرة الشيبي أن يقدم مفتاح الكعبة المشرفة لكبير الأسرة الشيبية ، وقد وقع اختيار الأسرة لهذا المنصب الشريف بعد وفاة الشيخ عبدالقادر الشيبي على الدكتور صالح بن زين العابدين الشيبي ، لكونه أكبر أفراد الأسرة سناً ، وبعد ما تسلم الدكتور صالح مفتاح البيت المشرف قال:

" شرفنا الله سبحانه بأن نكون خداماً لبيته الحرام والكعبة المشرفة ، منذ عهد ما قبل الإسلام وحتى وقتنا الحالي ، ومنذ يوم فتح مكة أقرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سدانة الكعبة لآل شيبة وثبَّتها لهم ، وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم ،وأيضاً أجمع المفسرون على أن سبب نزول قول الله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نِعِمَّا يعظكم به ، إن الله كان سميعاً بصيراً) هو أداء مفتاح الكعبة لآل الشيبي ، وختم كلمته بما قال : ونرجو الله أن يعيننا على أداء هذه الأمانة الكبيرة . "

(٢) فضيلة الشيخ إسماعيل أحمد عبد الله المنوبري في ذمة الله تعالى

تلقينا نبأ وفاة فضيلة الشيخ إسماعيل أحمد عبد الله المنوبري ، مدير دارالعلوم العربية الإسلامية في كانتاريا بولاية غجرات الهند بأسى وحزن بالغين ، وذلك يوم الخميس ١٥ من شهر محرم ١٤٣٦هـ الموافق ٩ من شهر نوفمبر ٢٠١٤م فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم من كبار علماء غجرات وشيخها وقد تخرج في العلوم الإسلامية والتحديث-من دارالعلوم الأشرفية ببلدة راندير ، سافر

إلى مدينة (بليك بورن) في بريطانيا حيث قام بتدريس العلوم الدينية ونشر الدعوة الإسلامية في المجتمعات المختلفة من الهنود والبريطانيين ، ثم انتدبته دارالعلوم كانتاريا ليتسلم منصب مديرها ومشيختها .

ساد جو الحزن والأسف على جميع طبقات الولاية وتجمع حشد كبير لأداء الصلاة عليه من جميع أنحاء الولاية ، وقد صلى عليه نجله الجليل فضيلة الشيخ المفتي عبد الصمد المنوبري في مسقط رأسه في منوبر بولاية غجرات .

تغمده الله بواسع رحمته وغفر له زلاته وتقبل صالح أعماله وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر الجميل .

(٣) الاستاذ وليد عبد الرحمن الرويح في ذمة الله تعالى

تلقت أسرة المجلة نبأ وفاة الأستاذ وليد عبد الرحمن الرويح أحد أعلام الاقتصاد الإسلامي ، ونائب رئيس بيت التمويل الكويتي سابقاً ، وهو من أبناء الكويت البررة ، ممن حققوا نجاحات كبيرة في مجال الاقتصاد الإسلامي ، كان قد أصيب بشلل في حادث سيارة بمدينة جدة ، قبل اليوم بثلاثين عاماً ، ومنذ ذلك أصيب بشلل أقعده على كرسي متحرك، يدير مناصب عديدة وأعمالاً ضخمة ، من على هذا الكرسي ، رحمه الله تعالى على ما قام به من أعمال جليلة ، وكان قد شغل منصب نائب الرئيس والعضو المنتدب في شركة أصول للإجارة والتمويل ، وكان قد تولى رئاسة مجلس إدارة بيت الاستثمار الخليجي ، عام ١٩٨٨م .

وقد جاء في بيان نشر عقب وفاته في مجلة المجتمع الكويتية ، جاء فيه ما يأتي :

" يدير إمبراطورية مالية من كرسي متحرك ، فهو عضو في مجلس إدارة عدد من الشركات مثل بيت التمويل للاستثمار ، وبيت الاستثمار الخليجي وشركة الخليج لتمويل الاستثمار وشركة أصول للإجارة والتمويل"

لم يكن كل ما أنجزه من المشاريع الاقتصادية والتجارية والاستثمار الإسلامي إلا فضلاً من الله تعالى عليه ، رغم الإعاقة التي لازمته طول عمره ، توفي يوم الثلاثاء ٢٨/من شهر ذي القعدة عام ١٤٣٥هـ الموافق ٢٣/ستمبر ٢٠١٤م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

أغدق الله عليه شآبيب رحمته ، وغفر له زلاته وتقصيراته وأنعم عليه بالجنة والنعيم . ويلهم الجميع الصبر والسلوة .